أجاثا كريستي

القصر الرهيب

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان



القصر الرهيب

- ١ -

في الساعة السادسة والنصف من صباح أحد أيام الجمعة ، فتحت الليدي لوسي انجكاتيل عينيها الزرقاوين الواسعتين على يوم جديد وبدأ عقلها النشيط يعمل ليجد حلولاً المشكلات التي تخلقها هي لنفسها . ولم تلبث أن شعرت بالحاجة إلى من تتكلم معه وتطلب مشورته . ووقع اختيارها على ابنـة عمها الشابة ميدج هارد كاسل ، التي حضرت لزيارة قصر هولو في الليـلة الماضية ، فنهضت بخفة من فراشها ، وغطت منكبيها العاريين بوشاح ، ثم اتجهت عبر الدهليز الطويل إلى غرفة ميدج .

وعبرت الليدي الغرفة ، وفتحت النافذة ، لتسمح لخيوط الفجر ان تتدفق الى الحجرة ، ثم تطلعت إلى الخارج وقالت :

– طيور تغرد ، كم هي جميلة ! حسنـــاً ، ان الجو لن يكون هو سبب المشاكل على كل حال ، ويبدو انه سيكون رائعـاً لحسن الحظ ، ولكننا إذا جمعنا أشتاتاً من الشخصيات في داخل القصر ، فلا شك انك توافقينني على اننا سنواجه مشاكل عويصة

– هم تتكلمين ؟

ـ عن عطلة آخر الأسبوع يا عزيزتي ، وعن الضيوف الذين دعوناهم لزيارتنا غداً ، لقد كنت أفكر في هذه المسألة طوال الليل ، ومن حسن الحظ ان يجد الانسان شخصا يناقش معه مشاكله ، فأنت يا ميدج سليمة التفكير ، تلتمسين الحلول العملية .

فجلست ميدج في فراشها ، وقالت في صرامة :

ـ هل تعلمين كم الساعة الآن ؟

ـ أبداً يا عزيزتي ، إنني لا أهتم بالوقت كما تعلمين !

ـ إنها السادسة والنصف .

ـ نعم يا عزيزتي .

وحملقت فيها ميدج بغيظ ..

إن تصرفات لوسي كانت دائماً تبعث فيها الحيرة إلى حد الجنون ، ولكنها كانت تحبها على الرغم من كل شيء : إنها ابتسامتها وسحرها الذي لم يفارقها حتى وهي في سن الستين . وبسبب هذه الابتسامة ، وبسبب هذا السحر ، تحمل الناس مشاكلها ، وصبروا على مضايقاتها ، وما تبعثه فيهم من حيرة .

كانت فعالها مطبوعة بذلك المرح الساذج الذي يعصمها من كل نقد . وفي المواقف الحرجة ، لم يكن على لوسي إلا ان تفتح عينيها الزرقاوين الواسعتين على سعتهما ، وتمد يديها الرشيقتين الرقيقتين إلى الأمام في يأس ، ثم تقول كم هي آسفة ، فينتهي كل شيء .

قالت :

ـ أوه .. إنني آسفة جداً ، يا عزيزتي .. كان يجب ان تحذريني !

ـ لقد فات أوان التحذير ، فإنني في تمام اليقظة الآن .

ـ يا للعار ، لقد أيقظتك وأقلقت راحتك . ولكنك ستساعدينني ،

اليس كذلك ؟

- بخصوص عطلة نهاية الأسبوع ؟ ولكن لماذا ؟ وما هي المشكلة ؟

فجلست ليدي انجكاتيل على حافة الفراش ، بطريقة لا يمكن ان يحاكيها أحد ، لقد كانت خفيفة لطيفة ، كحورية رقيقة ، ومدت يديها الرقيقتين في حركة يأس لطيفة ، وقالت :

- مشاكل ، مشاكل ، إن جميع الأشخاص ، غير المناسبين ، هم الذين سيحضرون الى هنا .

إننا جمعنا شخصيات متنافرة في مكان واحد ، ولو ان لكل منهم على انفراد شخصية جذابة ساحرة !

- من الذي سيحضر ؟

- الدكتور جون وجيردا ، وهذا ليس مشكلة في حد ذاته ، فجون لطيف وجذاب جداً ، أما جيردا المسكينة ، فإننا يجب ان نعاملها بكل عطف .

- إن حالها ليس بهذا السوء على كل حال .

- اوه ، انها مشكلة يا عزيزتي ، إن عينيها تنطقان بذلك ، ويبدو انها لا تفهم أي كلمة تقولينها لها .

- إنها لا تفهم ما تقولينه انت ، ولها العذر ، فعقلك يا لومي دائماً يسبق لسانك ، ومن الصعب على اي إنسان ان يتتبع مناقشاتك .. ومن سيحضر أيضاً ؟

أظنك دعوت هنريتا ؟

- نعم ، وكان يجب ان أدعوها ، فهي قوية الشخصية ، رقيقة الحاشية ، وأتوقع ان تساعد جيردا المسكينة كثيراً ، لقد كانت رائعة في العام الماضي .

– إنني أعجب لماذا يقبل الناس دعوة آل انجكاتيل ، إذا نظرنا إلى مقالبك ومتاعبك وطريقتك في الحديث .

– نعم يا عزيزتي ، إني أعترف اننا قوم متعبون ، ولا شك ان جيردا تكرهنا ، لو كانت لها شخصية قوية لما قبلت دعوتنا .
ولكن حدث في العام الماضي انها قبلت الدعوة ، فكانت مثالاً للحيرة ، وكان جون مثالاً للضيق ، ولم أجد وسيلة لتبديد التوتر .

وفي اللحظة الحرجة تدخلت هنريتا ، فشعرت بالامتنان لها . لقـــد أسرعت الى نجدة جيردا ، فظهر على وجهها البشر .
وهذا ما يعجبني في شخصية هنريتا ، فهي دائماً مستعدة لمثل هذا العمل إنها ماهرة في كل شيء

وأنا على يقين انه اذ خلصنا من ورطة اخر الاسبوع انسان ، فهذا الانسان هو هنريتا !.
فهي ستكون لطيفة مع جيردا ..
وستكون موضع سرور زوجي هنري ، وستجعل جون على سجيتـه ، وستساعد دافيد !
– دافيد انجكاتيل ؟

– نعم ، لقد تخرج حـــديثاً من اكسفورد ، او لعلها كمبردج ، والشباب في مثل سنه يكون صعب المراس .
إنهم في مثل هـذه السن يقضمون أظافرهم ، ويكون وجوههم حافـلا بالبقع .. وهم إما لا يتكلمون على الاطلاق ، او يقحمون انفسهم في المناقشات ويتحدثون بصوت عال .
إنني أعتمد على هنريتا ، على كل حال ، فهي لبقة ، تسأل الأسئلة المناسبة . ولا شـك ان كونها فنانة ، ومثالة بارعـة ، سيجعلها موضع إحترامه

- انها فنانة مطبوعة ، وعلى جانب من العبقرية ، ولكنني لا أفهم معنى قلقك بشأن عطلة نهاية الأسبوع .

لأنك اذا وفرت وسائل التسلية ، وكنت واضحة في حديثك مع جيردا ، وسلطت هنريتا على دافيد المتوحش ، فإن كل شيء ، سيجري على ما يرام .

- حسناً يا عزيزتي ، ان ادوارد ايضاً سيحضر .

- أوه ! ادوارد ، ولماذا بحق السماء دعوت ادوارد ؟

- اني لم أدعه ، لقد دعا نفسه بنفسه ، وانت تعلمين ان ادوارد مرهف الحس جداً ..

وهزت ميدج رأسها ، نعم ان ادوارد مرهف الحس .

وتخيلت وجهه البهيج .. انه وجه محبوب ، يحمل شيئاً كثيراً من سحر لوسي .

قالت لوسي

- وعلى فكرة ، لقد دعوت رجل البوليس للغداء يوم الأحد ، أليس في هذا بعض التغيير ؟

- رجل البوليس ؟

- نعم ، ان رأسه يشبه البيضة ، لقد كان في بغداد يحل إحدى المشكلات حينما كان زوجي هنري معتمداً سامياً هناك ، أو ربما قبل ذلك ، ودعاه هنري الى الغداء مع بعض رجال الجيش . كان يرتدي حلة بيضاء ، ويضع وردة حمراء في عروة سترته ، وينتعل حذاء أسود . اني لا أذكر المناسبة لانني لا أهتم بجرائم القتل ، ولقد دعوته لأنه يسكن إحدى الفيلات الجديدة المجاورة .

- ان أهل لندن ، يحبون هذه الفيلات ، وهناك ممثلة في فيلا أخرى . انهم لا يعيشون في هذه الفيلات ، كما نفعل نحن ، انهم

يقضون فيها اجازاتهم ، انني مسرورة جداً لمعاونتك ، يا عزيزتي ميدج .

ـ لا أظن اني كنت ذات عون كبير

ـ أحقاً ؟ والآن استأنفي نومك أيتها العزيزة ، وسآمر بارسال طعام الإفطار الى حجرتك .

ومنحتها لومي ابتسامة ساحرة ، ثم انفلتت خارجة من الغرفة في خفة مسرعة كأنها الطيف .

- ٢ -

جلس لدكتور جون كريستو في غرفة الفحص يستمع الى مريضته قبل الأخيرة هذا الصباح .

وبعينين رقيقتين مشجعتين راح يراقبها وهي تصف مرضها ، ويهز رأسه دلالة الفهم ما بين فترة واخرى من الحديث ، وسأل سؤالاً او اثنين ، وقدم نصائحه ، ولمع بريق الشكر والعرفان في عيني المريضة ..

إن الدكتور كريستو رائع حقاً ، انه يهتم بشؤون مرضاه في اخلاص ، وحتى مجرد تبادل الحديث معه يشعر المريض بالصحة والعافية .

ومد الدكتور كريستو يده الى الورق ، وشرع يكتب ، وهو يقول لنفسه :

من الأفضل ان أصف لها ملينا ، ذلك النوع الأمريكي الجديد ، انه مغلف بالسلوفان ، وهو غالي الثمن ايضاً ، وليس من السهل العثور عليه في الصيدليات . وستقضي وقتاً طويلاً في العثور عليه ، وحين تجده سيغمرها السرور لمدة شهر او اكثر ، انها في الحقيقة لا تعاني من أي مرض ، انها ليست مثل مسز كرابتري مثلاً .

إنه صباح ممل ، مربح مالياً لا أكثر ولا أقل ، يا إله السماء ، انه متعب حقاً ، لقد تعب من النساء الثريات ، اللاتي يدعين المرض ، ومن

شكواهن ..

أما مستشفى سانت كريستوفر ومرضاه ، ومسز كرابتري ، فهذه مسألة أخرى !

إنه يفهمها ، وهي تفهمه ، إنها سيدة مكافحة ، تريد ان تعيش ، ولو انه لا يدري لماذا ، بالنظر إلى الكوخ الحقير الذي تعيش فيه ، وزوجها السكير ، وأطفالها الأشقياء ، واضطرارها إلى ممارسة العمل الشاق لتكسب قوتها وقوت أولادها ، وتعول زوجها العاطل السكير ، إنها حياة خالية من المسرات .

ولكن المرأة ، على الرغم من كل هذه المتاعب ، تريد ان تعيش . إنها لا تهتم بالحياة التي تعيشها ، إنها تهتم بالحياة نفسها .

إنه يحب ان يناقش هذه المسألة الغريبة مع هنريتا .

ونهض ، ورافق مريضته إلى الباب ، وصافحها في حرارة ، وكان صوته حاراً مشجعاً مواسياً ، وخرجت مريضته ، وهي تشعر بأنها استردت الصحة والسعادة ..

حقاً ان دكتور كريستو رجل عجيب !

وحينما أغلق الباب خلفها نسيها كلية ، بل انه كان غافلاً عن وجودها وهي جالسة أمامه في حجرة الفحص ، لقد كان تصرفه معها أوتوماتيكياً محضاً .

وعاد يقول لنفسه :

« يا إله السماء ، كم أنا متعب ! »

لم يبق أمامه الآن إلا مريضة واحدة .

ثم .. عطلة نهاية الأسبوع . وطار على أجنحة الخيال إلى هناك : أوراق الشجر الذهبية ، وأريج الخريف العاطر ، والطريق الذي يخترق الغابة .

إن لوسي مخلوقة رائعة ، انه يفضل ضيافة هنريتا ولوسي على أية ضيافة في العالم .

وقصر هولو من أمتع القصور ، وفي يوم الأحـد سيتنزه مع هنريتا في الغابة ، ومع هنريتا سينسى أن في العالم مرضى ..

وشكراً لله ، ان هنريتا ليست مريضة ، وهي لن تشكو اليه مرضاً حتى ولو كانت مريضة .

لم يبق إلا مريضة واحدة ، وعليه الآن ان يدق الجرس لتدخل ، ومع ذلك فإنه يسوف ويؤجل دون مبرر ، لقد تأخر عن موعده ، والغـــداء معد الان في غرفة الطعام بمنزله الذي يقع أعلى هذه الغرفـــة ، وجيردا تنتظره مع الأطفـال ، ومع ذلك فقد جلس جامـداً .. إنه متعب .. متعب جداً .

إنه لم يشعر بهذا التعب إلا أخيراً ، وهو يزداد على مر الأيام .. مسكينة جيردا ، إنها دائماً تتحمله .

آه ، لو لم تكن خاضعة له هكذا ، مستعدة دائماً ان تعترف بأنها مخطئة بينما هو يعرف عن يقين انه هو المخطىء ، لقد مرت أيام كان فيها كل شيء تقوله جيردا أو تفعله يضايقه ، والواقع ان فضائلها هي التي تزعجه : دأبها ، ونشاطها ، طاعتها العمياء ، إنـكارها لذاتها إنها لم تثر في وجهـه يوماً ، ولم تبد رأياً مخالفاً لرأيه يوماً .

وقال لنفسه :

« الواقع انك تزوجتها لهذا السبب ، فلماذا تشكو ؟ لقد تزوجتها بعد ذلك الصيف الذي قضيته في سان ميجويل .. »

وأغمض عينيه ، فرأى بعين مخيلته زرقة مياه البحر الأبيض المتوسط ، والنخيل ، وأشجار الفواكه ، وهواء الصيف المترب الحار ..

وتذكر رطوبة الماء ، بعد ان استلقى على رمال الشاطىء .. سان

ميجويل !

وفزع .. وضايقته الفكرة

إنه لم يفكر في شان ميجويل منذ سنين ، وهو دون شك لا يريد ان يعود الى هناك أو الى ماضيه البعيد .

كان ذلك منذ خمسة عشر عاماً ، لقد تصرف التصرف المعقول ، فقد كان حكمه صائباً ، لقد كان مجنوناً بفيرونيكا ، ولكنه غرام لا طائل وراءه ، كانت فيرونيكا حرية ان تسطر على روحه وجسده كانت أنانية من الطراز الأول و كانت لا تخفي ذلك ، كانت تحصل على كل ما تريد ، ولكنه هرب ، وقد يبدو بهذا أنه عاملها معاملة سيئة أو أنه خانها ، ولكنه في الحقيقة كان ينشد الاستقلال ، وهو الشيء الذي لم تكن فيرونيكا تسمح له به ، كانت تريد أن تعيش على هواها ، وتحمله في ركابها .

وقد أدهشها انه رفض ان يذهب معها إلى هوليود .

وقالت بازدراء :

- إذا كنت حقيقة تريد أن تكون طبيباً ، فلا بأس من أن تحصل على الشهادة هناك ولكني لا أرى بك حاجة إلى ذلك فلديك الكفاية التي يمكن أن تعيش عليها وسأربح أنا المال الوفير .

فرد عليها بخشونة :

- ولكني أحب مهنتي وسأمارسها .

- فكر في جو كاليفورنيا البديع ، إنه متعة وأكره ان أتمتع به دونك .. إني أريدك يا جون .. اني محتاجة اليك .

واقترح عليها ان تتخلى عن فكرة هوليود ، وأن تتزوجه ، وتقيم معه في لندن .

ولكنها صممت على الذهاب الى هوليود . و كانت أكيدة من جمالها وسطوته ومن انه لا بد ان يرضخ في النهاية .

ولم يجد أمامه إلا مخرجاً واحداً ، ولم يتردد فكتب اليها معلناً فسخ الخطبة . ولقد قاسى كثيراً من جراء هذا التصرف ولكنه لم يكن يشك في انه التصرف الصحيح . ثم عاد إلى لندن وتزوج جيردا ، التي تناقض فيرونيكا تماماً ، بعد ذلك بعام .

* * *

وفتح الباب ، وبرزت من ورائه بريل كولينز سكرتيرته وقالت :

– إن عليك أن ترى مسز فورستر .

– أعلم ذلك . دعيها تدخل .

– ظننتك نسيت !

وعبرت بريل الحجرة ، وخرجت من الباب الثاني ، وكانت عيناه تتبعان خط انسحابها .

إنها فتاة عادية ، ولكنها ماهرة ، إنها تعمل معه منذ ست سنوات ، وهي لم تخطىء مرة واحدة .. ولم تكن مرة مرتبكة او قلقة ، أو متسرعة .

إن لها شعراً أسود وملامح عادية ، وذقناً قوية وعينين رماديتين فاحصتين تطلان من وراء نظارات سميكة .

كان يريد سكرتيرة عادية ، وقد حصل على سكرتيرة عادية . ولكنها – هكذا ظن كريسو – ذات طابع حزين .

وقابل مسز فورستر .

واستغرقت المقابلة نصف ساعة وحصل على المال سهلا ، كل ما عليه هو أن يصغي ويسأل بضعة أسئلة ويوافق على ما يقال ، ويعطف ويضفي على

المريض شيئاً من سحره .

ومرة أخرى وصف دواء غالي الثمن .. وخرجت السيدة المتمارضة أكثر ثباتاً ، وقد عاد الدم الى وجنتيها ، واعتراها شعور جديد بأن الحياة جديرة بأن تحياها .

واضطجع جون كريستو في كرسيه . إنه حر الان ، حر في ان يصعد الى الطابق العلوي ليعود الى زوجته وأطفاله لقد تحرر من المرضى وذوي الأسقام حتى بداية الأسبوع القادم

- ٣ -

جلست جيردا كريستو في قاعة الطعـام التي هي فوق حجرة الفحص مباشرة ، تحملق في طبق من اللحم الساخن ، كانت قد وضعته على الطاولة لغداء زوجها . . و كانت تسأل نفسها المرة بعد الأخرى :

هل ترده الى الفرن ليبقى ساخناً ؟

ثم لا تلبث أن تجيب على سؤالها بقولها :

إذا تأخر جون بعـــد ذلك فسأعيده ، لأنه سيبرد ، وهو لا يحب اللحم البارد

ولكن آخر مريضة قد غادرت العيادة وسيحضر جون في أي وقت الان، فإذا هي أعادت اللحم الى الفرن فقد يعود جون ولا يجد الغداء جاهزاً، وسيغضب . فضلاً عن إعـادة اللحم إلى الفرن ستزيد نضجه وتجعله جافاً غير مستساغ ، وجون يكره اللحم الزائد النضج . ولكنه أيضاً يكره اللحم البارد .

وهكذا ظل عقلها يسأل ويجيب . . وهي في حال من التعاسة والقلق . لقد تحول العالم في نظرها الى طبق من اللحم الساخن !.

وعلى الطرف الاخر من الطاولة ، جلس ابنها تيري الذي يبلغ الثانيـة عشرة

وكانت ابنتها زينا تقول :

– إنني جائعة . ألا نتناول غداءنا يا أماه ؟

– بعد برهة يا عزيزتي ينبغي أن ننتظر والدك .

فقال تيري :

– يمكننا أن نبدأ ، ولا شك ، ان والدي لن يهتم ، إنه يتنـاول طعامه بسرعة .

ولكن جيردا هزت رأسها نفياً .. وعادت تحدث نفسها :

هل تقطع اللحم ؟ ولكنها لا تعرف الطريقة الصحيحة لتقطيعه ، وجون يكره اللحم الذي أسيء تقطيعه .. انها دائماً لا تجيد تقطيع اللحم .. يا اله السماء ، انه يبرد ، لا بد من اعادته الى الفرن ، ولكن جون قد يحضر في أية لحظة .

وعاد عقلها يعمل في يأس من حيث بدأ !

* * *

واضطجع جون كريستـو في كرسيه ، وجعل ينقر بأصابعه على سطح مكتبه.. كان يعلم ان الغداء ينتظره ، ومع ذلك فلم يحاول أن ينهض . وانما جعل يفكر في سان ميجويل ، ومياه البحر الزرقاء، وعبير الأزهار والأشجار الخضراء والشمس الساطعة .. والحب وعذابه !

وتمتم يقول :

« لا .. لا .. لن يحدث هذا مرة ثانية ، لقد انتهى هذا الأمر » .

وود لو انه لم ير فيرونيكا ، ولم يتزوج جيردا ، ولم يقابل هنريتا .. ان مسز كرابتري أفضل منهن جميعاً . لقد كانت في حالة سيئة بعد ظهر أحد

أيام الأسبوع الماضي ، كان هو يراقب رد فعل الدواء الذي يجربه فيها ، ثم ظهرت عليها أعراض التسمم ..

وكانت المرأة العجوز زرقاء اللون ، تتنفس في صعوبة ، وهي تنظر اليه في غضب ويقول :

– أنت تجرب أدويتك في اليس كذلك ؟

فابتسم لها وقال :

– إننا نحاول ان نشفيك .

– لا بأس استمر ، فإن على أي واحد ان يكون هو الأول ، ويمكنني أن أتحمل .

وسألها وهو يقيس لها النبض :

– ألا تشعرين بالتحسن ؟

– إنني في حالة سيئة ، ويبدو ان العلاج ليس كما ينبغي ، لا بأس جرب مرة أخرى فإني أستطيع ان أتحمل الكثير .

– إنك رائعة وددت لو كان كل مرضاي مثلك .

بارح المستشفى في ذلك اليوم وهو في غاية التعاسة والشك . كان موقناً من أنه اتبع العلاج الصحيح ، فماذا حدث ؟ كيف يتغلب على المرض ؟

وحين بلغ باب مستشفى سانت كريستوفر شعر بالتعب لأول مرة ، وفكر في هنريتا : فكر في جمالها ونضجها وصحتها وحيويتها ورائحة الزهر الذي يفوح به شعرها .

وذهب إلى هنريتا رأساً ، بعد ان اتصل بمنزله تليفونياً منتحلاً العذر لتغيبه . واقتحم الاستديو واحتوى هنريتا بين ذراعيه بقوة ، وشهد في عينيها بريق الدهشة ولكنها تخلصت من ذراعيه بسرعة ، وصنعت له قدحاً من القهوة ، وكانت وهي تتنقل في أرجاء الاستديو تطرح عليه بعض الأسئلة ، سألته هل جاء من المستشفى رأساً ؟

وكان يكره ان يتكلم عن المستشفى ، كان يريد ان يطارح هنريتا الغرام وينسى المستشفى ومسز كرابتري ، ولذلك كان يجيب على أسئلتها في اقتضاب في أول الأمر ثم وجد نفسه يستفيض في الإجـــابة ويشرح أعراض المرض ووسائل العلاج التي اتبعها وما وصل اليه من نتائج . ونسي وجود هنريتا ، ولكنه حين كان يتوقف ، كان ذكاء هنريتا وفهمها يحملانه على مواصلة الكلام .

وشعر وهو يستمر في الحديث بثقته بنفسه تعود اليه .. إن المبادىء التي اتبعها في العلاج صحيحة ، ولكن هناك أكثر من وسيلة لتطبيقها ، وأدرك انه سيكافح ولن يهزم ..

وفجأة قال :

– إنك إنسانة لطيفة يا هنريتا ، هل أثار حديثي الطبي اهتمامك ؟

– كلا .. إنك أنت الذي تثير اهتمامي .

وضحكت . ولم يكن هو معتاداً ان تضحك منه إمرأة. إن جيردا تأخذ كلامه دائماً على محمل الجـــد . وفيرونيكا لم تفكر في شيء إلا نفسها . ولكن هنريتا اعتادت ان تطرح رأسها إلى الوراء وتنظر اليه خـــلال عينين نصف مغمضتين وعلى شفتيها نصف ابتسامة ساخرة ، كأنما هي تقول لنفسها « لألقي نظرة فاحصة على هذا المخلوق العجيب المسمى جون .. لأنظر اليه من مسافة بعيدة » .

لقد كانت تنظر اليه بنفس الطريقة التي تنظر بها إلى تمثال تنحتـه ، أو لوحة ترسمها . لقد كانت لها شخصية مستقلة ، وهو لا يريد ذلك انه يريدها ان تفكر فيه وحده .

وقال في نفسه : « ولكنك لا تحب هذا في جيردا .. الواقع انك غـــير معقول ، أنت لا تعرف ماذا تريد » .

* * *

كانت جيردا كمن وقع في فخ لا خلاص منه ، كانت تشعر بالتعاسة واليأس لقد أحست باليأس منذ استيقظت هذا الصباح ، وقد كان قضاء العطلة في قصر هولو كابوساً مخيفاً بالنسبة لها ، كانت تشعر هناك بالحيرة والعزلة : حيث لوسي انجكاتيل بحديثها الغامض المليء بالتلميحات . إنها تخشى هذه المرأة ، ولكن الآخرون لا يقلون رداءة عنها ، إن عطلة نهاية الأسبوع ما هي إلا فترة أخرى من فترات التضحية لا بد من تحملها في سبيل جون ، وقد كان أول ما قاله جون هذا الصباح هو .

– جميل ان نذهب إلى الريف في عطلة نهاية الأسبـــوع ، إن جو الريف سيفيدك يا جيردا ، انه الشيء الذي تحتاجين اليه .

وابتسمت جيردا ابتسامة مغتصبة ، وقالت وهي تنكر ذاتها :

– إنها ستكون عطلة رائعة .

وكانت عيناها اللتان تنطقان بالتعاسة تدوران في جوانب حجرة النوم وهي تقول هذا الكلام ، كانت تحملق في جميع معالم الغرفة الحبيبة التي ستحرم من رؤياها حتى يوم الاثنين

ففي صباح الغد ستنام في حجرة غريبة ، وستوقظها خادم تقدم لها الشاي وتغير ملابسها ، إنها تكره ذلك .

ولم تكن جيردا في صباها سعيدة في المدرسة ، فقد كانت تشعر بالعزلة ، وكانت دائماً تفضل البيت ، ومع ذلك فلم تكن سعيدة حتى في بيتها ، ففي البيت كان الجميع يتمتعون بالنشاط والذكاء . ما عداها . وكانوا دائمـــاً يؤنبونها :

« أسرعي يا جيردا . أوه : لا تدعوها تعمل شيئاً لأنها لن تنجزه قبـل أجيال .. أوه ! إن جيردا لا تفهم بسرعة » .

ولم يدركوا ان هذه الملاحظات كانت تسبب لها الارتبـــاك والمزيد من البطء ، وهكذا كانت هذه المعاملة سبباً في سوء أحوالهـا وزيادة بطئها في

الفهم وارتباكها في الحركة .

وفجأة وجدت سلاحاً تدافع بها عن نفسها : لقد زادت بطئاً ، وزادت نظراتها المدهوشة فراغاً ، ووضعت على وجهها قناعاً من الحيرة والدهشـة .. وكان هذا القناع الحائر مفيد جداً .

فحين كانوا يقولون لها :

« أوه يا جيردا إنك غبية لا تفهمين ما يقال لك » .

كانت تقول لهم في نفسها :

« بل أنتم الأغبياء انني أفهم ما تقولون وإنما أنا أدعي الغباء »

وكثيراً ما كانت تبتسم وهي تبطىء عن عمد في إنجاز عمل حتى تجد من يقوم به عنها .

وانتابها شعور غامض بالسمو وسرها عدم فهم الآخرين لها ، ووجدت في ذلك سروراً عظيماً ، لقد كان الجميع يخدمـــونها ! ومن ثم يوفر المرء جهده ، وفي النهاية يعتاد الناس على خدمتها ، وينســون انها لا تجيـد عمل الأشياء !

ولكن آل الجكاتيل لن يفهموا هـذا المنطق ، إنها تكرههم ، ولكن جون يحب هؤلاء الناس ، فقد كان يعود من قضاء عطلته لديهم مرتاح الجسم والأعصاب .

وفجأة أغلق باب حجرة الفحص بشدة أزعجت جيردا ، وسمعت جون يصعد الدرج وثباً واقتحم الغرفة كالعاصفة . وكان يبدو في حالة نفسية طيبة جائعاً فارغ الصبر وقال وهو يتأهب لتقطيع اللحم :

ـ يا إله السماء ! كم أكره المرضى !

ـ جون لا تقل مثل هذا الكلام قد يصدقك الأولاد .

ـ إني أعني ما أقول لا ينبغي ان يمرض أحد .

فتحولت جيردا إلى الأطفال وقالت :

– إن أبا لم يمزح .. إنه لا يعني ما يقول .

وحملق تيري في أبيه ثم قال :

– إنه طبعاً لا يعني ما يقول .

وقالت جيردا وهي تضحك بلطف :

– لو كنت تكره المرضى لما أصبحت طبيباً مشهوراً .

– يا إله السماء إن هذا اللحم بارد ، لماذا لم ترسليه إلى الفرن ليظل ساخناً ؟

– الواقع اني ظننتك قادماً في التو

ودق الجرس وطلب من الخادم أن يضع اللحم في الفرن ، وقالت جيردا تعتذر :

– إني آسفة يا جون ، الواقع انها غلطتي ، فقد كنت أظنك ستصعد تواً لتناول الطعام واني إذا أرسلته الى الفرن فقد :

– حسناً لا بأس إنه ليس أمراً مهماً يستحق كل هذه المناقشات . هل السيارة جاهزة ؟

– نعم

– إذن يمكننا ان نرحل بعد الغداء مباشرة . .

– نعم .. إلى الخلاء حيث الهواء المنعش ، وأريج أشجار البلوط .. إلى حيث يرى لوسي وزوجها السير هنري وهنريتا .. انه لم ير هذه الأخيرة منذ أربعة أيام .

وكان البودنج محترقاً ، ورفع حاجبيه وقبل ان يحتج ، أسرعت جيردا تعتذر :

– إني آسفة يا عزيزي لست أعلم لماذا يحدث هذا إنها غلطتي ، تناول أنت الجزء العلوي ودع الجزء المحترق لي .

وفكر جون

إن البودنج إحترق لأنه تأخر في حجرة الفحص ليفكر في منزيتا ومسز كرابتري .. ومياه ميجويل الزرقاء انه هو المخطىء ، ان جيردا غبية ، تحب أن تلقي اللوم على نفسها ، لماذا تحب أن تلبس مسوح الشهداء ؟ ولماذا يحملق فيه تيري كأنما هو تجربة كيماوية يشرف على عملها؟ ولماذا تنظر اليه زينا هكذا؟ لماذا يضايقونه جميعهم ؟

ونهض جون وهو يقول :

- حسناً لنرحل الآن ، هل أنت على استعداد يا جيردا ؟

- بعد دقيقة واحدة لدي بعض المهام البسيطة

- كان يمكن الانتهاء منها قبل حضوري . ماذا كنت تفعلين طوال هذا الصباح ؟

وأسرعت جيردا الى حجرة نومها ، وجعلها الالحاح على السرعة أكثر بطئاً

وانتظر جون وهو يزفر في عصبية .

وتقدمت منه زينا وهي تحمل مجموعة من أوراق اللعب :

قالت :

- أتريد أن أقرأ طالعك يا أبي ؟

- حسناً .. حسناً ..

إن جيردا ستستغرق وقتاً طويلاً للاستعداد فلا بأس من أن يشغله شاغل عن أفكاره .

وبدأت زينا ترتب الورق ثم قالت :

- هذا الملك يرمز اليك وهو في الوسط ، هكذا علموني . ثم أضع الورق مقلوباً ، ورقتين الى اليسار منك وورقتين الى اليمين وورقة فوق رأسك ، وهي تحوي ما يمكن أن يسيطر عليك ، وورقة تحت قدميك وهي تحوي ما يمكن أن تسيطر أنت عليه . وهذه الورقة الأخيرة تغطيك ..

وتنفست زينا بعمق ثم تابعت

– والآن لنقلب الورق .. فنجد الى يمينك الملكة الديناريه .. انها قريبة جداً منك .

وقال جون لنفسه

« انها هنريتا » ..

وتابعت زينا :

– والورقة التالية هي الولد السباتي .. انه شاب هادىء . والى يسارك الثمانية البستوني ، انها ترمز الى عدو خفي ، هـل لك أعداء يا أبي ؟

– كلا ، لست أظن أن لي أعداء .

– والى جوارها الملكة البستوني .. وهي ترمز الى سيدة عجوز .

فقال جون لنفسه :

« هذه ليدي انجكاتيل » .

وعادت زينا تقول :

– والان ، هذه الورقة ترمز الى مـا يسيطر عليك .. انها الملكة الكوباتي ..

فقال لنفسه :

« إنها فيرونيكا .. ولكن كم أنا أحمــق .. ان فيرونيكا لا تسيطر علي الان » .

وقالت زينا تستأنف كلامها :

– وهذه التي تقع تحت قدميك ، انها الملكة السباتي .

ودخلت جيردا الغرفة بسرعة وقالت :

– هأنذا على استعداد .

فقاطعتها زينا :

– إنتظري لحظة يا أمـاه ، اني أكشف لأبي عن طالعه .. والان هذا الكارت الأخير ، إنه أم الأوراق كلها ، انه يرمز الى مـــا سيحدث لك :

وقلبت زينا الورقة ثم شهقت :

– انه الأس البستوني .. ان معناه الموت ولكن ..

فقاطعها جون ضاحكاً :

– ان أمك ستقتل أحد الناس وهي تقود السيارة هلم يا جيردا نستودعكما الله وأرجو أن تسلكا مسلكاً طيباً في غيابنا .

- ٤ -

نزلت ميدج هارد كاسل إلى الطابق الأرضي في الحادية عشرة من صباح الأحد . وكانت قد تناولت افطارها وهي في الفراش ، ثم قرأت كتاباً ، ثم نامت قليلا .

وكانت تشعر بالراحة وبأنها ستستمتع بعطلتها بعيداً عن محل الأزياء الذي تعمل به وغادرت القصر إلى الحديقة الغارقة في شمس الخريف ، فوجدت السير هنري جالساً على أحد المقاعد يقرأ جريدة التايمس ، فنظر اليها وابتسم ..

لقد كان يحب ميدج !

فحياها قائلا :

– طاب صباحك يا عزيزتي

– هل تأخرت ؟

– انك لم تتأخري عن موعد الغداء .

وجلست ميدج إلى جواره ، فقالت وهي تتنهد :

– جميل أن يقضي المرء عطلته هنا

– انك تبدين شاحبة .

– اوه ، انني على أحسن حال ، إن من متع الدنيا أن يبتعد الانسان

عن النساء البدينـــات اللائي يحاولن أن يضمن أجسادهن في أردية ضيقة .

ـ ولا شك انه أمر مكروه .. ان ادوارد سيصل في قطـــار الثانية عشرة والربع

ـ اني لم أره منذ زمن طويل .

ـ انه لم يتغير ، وهو لا يبارح قصر ايتزويك إلا نادراً .

ففكرت ميدج بقلب خافق في الأيام التي امضتها في قصر ايتزويك ، لقد كانت أياماً طيبة ، وكانت تظل أياماً طويلة مؤرقة الجفنين تفكر في الأيام التي ستمضيها هناك قبل كل زيارة ، فإذا جاء اليوم ، وقف اكسبريس لندن على المحطة الريفية الصغيرة ، وهناك تجد السيارة الديملر في انتظارها وتخترق بها الغابات إلى حيث تجد القصر الأبيض الجميل ينتظرها ويرحب بقدمها .

وعلى البوابة يقف العم جيوفري الذي يستقبلهـا مع لداتها قائلا :

ـ والآن أيها الأطفال استمتعوا بعطلتكم .

لقد كانت متعة حقاً !

هنريتا التي كانت تحضر من ايرلنده ، وادوارد الذي يحضر من جـامعة ايتون ، وهي التي كانت تحضر من الشمال .

كانوا يلتفون حول إدوارد . وكان إدوارد يأسرهم بعطفه ولطفه وكرم أخلاقه .

ولكنه لم يكن أبداً « يهتم » بها ، لقد كانت هنريتـــا هي محور اهتمامه .

وذات يوم قال لها البستاني :

ـ إن هذا القصر سيؤول إلى السيد إدوارد في يوم ما

ـ ولكن لماذا ؟ انه ليس ابن العم جيوفري .

ـ انه الوارث الشرعي ، أما لوسي ابنته ، فإنها لن ترث اللقب ولا القصر

لأنها انثى ..

ان ادوارد يعيش الآن في قصر ايتزويك ، يعيش هناك وحده .

وعجبت ميدج ، ترى هل تشعر لوسي بالحنين الى قصر ايتزويك ؟ لقد كانت تعتبره بيتها ، وتعتبر ادوار مجرد ابن عم يصغرها بعشرين عـاماً ، وكان والدها جيوفري انجكانيل شخصية مرموقة في طول البلاد وعرضها ، وكان ثرياً .

لقد اورثها معظم ثروته ، حتى لقد كان ادوار فقيراً اذا قيس بهـا ، ولكنه كان يملك ما يمكنه من الاحتفاظ بالقصر والعيش في بحبوحـة ، ولم تكن لدى ادوار اوجه اللانفاق .

لقد أمضى بعض الوقت يعمل في السلك الديبلوماسي ، ولكنه حـين ورث قصر ايتزويك والضياع الملحقة به ، اعتزل العمل ، وعـاش في ضيعته .

كان يحب الاطلاع على الكتب ، واقتناء الطبعات الأولى منها ، وقليلاً ما كان يكتب بعض القطع الأدبية لبعض الصحف ..

ولقد طلب الى ابنة عمه هنريتا ثلاث مرات ان تقبله زوجاً .

واستغرقت ميدج في التفكير ..

لم تكن تدري : هل سيسرها حقاً أن ترى ادوار ؟ لقد كانت مغرمة به منذ أيام الصبا .

* * *

أخرجت هنريتا سيارتها من الكاراج ، وانطلقت بها وهي تشعر بالسعادة لأنها تقود السيارة وحدها

لقد كانت تفضل الوحدة حتى تتاح لها الفرص للتمتع بالقيادة ، كانت تحب ان تبدي مهارتها في تفادي عقبات المرور ، وتكشف طرقاً جديدة للخروج من مدينة لندن .

وحين وصلت الى قصر هولو ، وجدت ميدج جالسة في الشرفة تلوح لها في ابتهاج .

وسرها ان ترى ميدج ، فقد كانت تميل اليها ، وخرجت ليدي انجكاتيل ترحب بها :

– آه ، أنت قد حضرت يا هنريتا ؛ وحين تفرغين من ابداع سيارتك في الحظيرة ستجدين الغداء جاهزاً .

وقادت هنريتا سيارتها الى الكاراج ..

ولحقت بها ميدج فسألتها :

– من هم المدعوون يا ميدج

– آل كريستو ، وقد حضر ادوار الآن .

– ادوار جميل ، إنني لم اره منذ مدة طويلة .

– وهناك ايضاً دافيد انجكاتيل ، وهذا الزائر من اختصاصك ، كما تقول لوسى ، فعليك الا تدعيه بقضم اظافره .

– إن هذا يخالف طبيعتي ، فأنا لا أحب أن أتدخل في شؤون الغير ، وماذا أخبرتك لوسي أيضاً ؟

– . ان عليك أن تكوني لطيفة مع جيردا .

– لو كنت من جيردا لكرهت لوسي .

– ودعت أحد الرجال الذين يشتغلون بالمسائل البوليسية لتناول طعام الفطور أيضاً .

– هل ستقوم بلعبة الجريمة ؟

– كلا . أظن ان المسـألة مجرد دعوة لجـار .. هـــا هو إدوار أقبـل ..

كان إدوار فارع الطول ، نحيـــلا ، وكان يبتسم وهو يقترب من المرأتين ..

هتف :

– هالو هنريتا ، إني لم أرك منذ أكثر من عام .

– هالو ادوار !

وفكرت هنريتا وقد اهتاجت عواطفها ..

إن إدوار كان دائماً حبيباً إلى قلبها ، وهو دائماً لطيف ، وهي تحب تلك الابتسامة التي تداعب شفتيه ، وهـذه الخطوط التي تظهر وتختفي حول عينيه .

وعظامه الرقيقة !

وأزعجتها هذه العواطف ، وأوشكت أن تنسى أنهـا كانت تحبه كل هذا الحب !

* * *

وبعد الفطور صحبها إدوار في نزهة خلال الغابة ، وسارا جنباً إلى جنب إلى الجهة الخلفية من القصر .

وفكرت هنريتا في غابات ايتزويك ، ايـتزويك الحبيب وأيام اللهو البريء !.

وأخذت تكلمه عن تلك الأيام .

– هل تذكر السنجاب الذي كنا نربيه ؟

- نعم .. لقد اطلقنا عليه إسماً معقداً .

- وهل تذكر مسز بوتدي المربية العجوز ؟ وكانت تقول انه سيهرب من خلال المدخنة في يوم من الأيام .

وكان هذا القول يغضبنا كثيراً .

- نعم ، ولا شك انها وضعت هذه الفكرة في رأس السنجاب ، لأنه هرب عن ذلك الطريق !

وصمتت برهة .

ثم تابعت :

- هل لا تزال الأحوال كما هي هناك ، أم تغيرت ؟

- ولماذا لا تأتين لتشاهدي الأمور بنفسك ، فقد مضى وقت طويل بعد آخر زيارة ، فإنني أرحب بزيارتك في أي وقت ، وأنت تعلمين ، ويسرني أنك لا تزالين تحبين المكان .

- إن ايتزويك أجمل مكان في العالم

لقد كانت وقتذاك طفلة غريرة ، لا تعلم شيئاً عن هموم الدنيا ، كانت سعيدة بالدنيا من حولها ..

.. انها كانت أيضاً تحب الأشجار .

وفجأة سألته :

- هل شجرة (البرّوق) لا تزال هناك ؟

- كلا .. لقد نزلت عليها صاعقة !

وأحزنها النبأ ..

حقاً لا شيء يمكن أن يسلم من أحداث الزمان .. من الأفضل إذن ألا ترجع إلى هناك !.

وسألها إدوار :

- هل لا تزالين تذكرين تلك الشجرة ؟

– نعم ، ولا زلت أرسمها على كل سطح يقع تحت يدي إذا كنت غارقة في التفكير .

وجلست هنريتا على جذع شجرة .

وجلس إدوار إلى جوارها !.

ونظرت حولها ثم سألته :

– هذا المكان يشبه ايتزويك ، ان ايتزويك صغيرة ، هل تظن ان هذا هو سر مجيء لوسي والسير هنري إلى هنا ؟

– ربما !

– إن الانسان لا يمكن أن يعرف ما يدور في رأس لوسي ومـاذا تفعل أنت هناك ؟

– لا شيء !.

– إن معنى هذا هو الهدوء والسكينة .. ربمـــا كنت على حق في ذلك !

– حسناً ، وأنت كنت دائماً ناجحة .

– هل تسمي هذا نجاحاً ؟

إنك فنانة ، ولا شك انك فخورة بعملك ، اما أنا فإنني لا أحسن شيئاً .

– انهم يقولون لي مثل ما تقول ، ولكنك لا تعلم أن النحت يستعبدك ويسيطر عليك ، ولست أنت الذي تسيطر عليه ، فإذا خضعت فقد حصلت على الراحة حتى يعود إلى الاستبداد بك من جديد .

– هل تحبين السلام يا هنريتا ؟

– نعم ، وكثيراً ما اتوق الى الهدوء .

– يمكنك الحصول عليه في ايتزويك ، وستكونين سعيدة هناك ، حتى ولو اضطررت إلى الزواج مني ، فهل تقبلين ؟

فأشاحت هنريتا بوجهها في بطء ..

ثم أجابت :

– وددت لو لم أكن أحبك يا ادوار الى هذا الحد ، إذن لكان الرفض أقل ايلاماً .

– هو الرفض إذن ؟

– اني آسفة !

– ولكنك كنت سعيدة حين تحدثت عن ايتزويك .

– لقد كنا نعيش في الماضي يا ادوار ، والانسان لا يمكن أن يرجع الى العيش في الماضي .

– هل تعنين انك لا يمكن أن تتزوجيني ، بسبب جون كريستو .

– اني لا يمكن ان اتخيل الحياة بدون جون كريستو .

– هناك الكثيرون من أمثال جون كريستو .

– أنت مخطىء ، ليس هناك الا جون كريستو واحد !

* * *

اقتربت سيارة الدكتور جون كريستو وزوجته من قصر (هولو) ، ومرت في طريقها بين صفين من الأشجار التي احمرت أوراقها بفعل الخريف :

فقال جون :

– جميل أن يتخلص الانسان من جو لندن .. تذكري الأمسيات التي تقضيها كل يوم في حجرة الجلوس المظلمة نتناول الشاي .

ولكن هذا المنظر الحبيب بدا لعيني جيردا كأنه السراب آه لو كانت

جالسة هناك الآن !

ومع ذلك فقد قالت :

– ان الريف بديع !

وأخذت السيارة تهبط الطريق المنحدر الى هدفها .

وحين اجتازت أبواب القصر وقع بصر جيردا على هنريتا وهي تجلس في الشرفة مع ميدج ، ورجل طويل نحيل .

وسرها ان تجد هنريتا ، فهي تثق بها ، وبمقدرتها على انقاذها حين تتأزم الأمور .

وشعر جون بالسرور لمرأى هنريتا .

كان مرآها خير ختام لهذه الرحلة .

وكانت هنريتا ترتدي الثوب الأخضر الذي يحبه ، لقد كان يناسبها اكثر من أي ثوب آخر .

وتبادلا ابتسامة سريعة ، كاعتراف متبادل بأن كلا منهما يسره أن يجد الآخر .

ولم يكن جون راغباً في الحديث مع هنريتا الآن ، وإنما كان يريد أن يفسح المجال لشعوره بالسرور بلقياها ، فقد كان يعلم ان قضاء عطلة آخر الأسبوع بدونها امر بغيض .

وخرجت ليدي انجكاتيل لتحييهما ، ودفعتها غريزتها الى الاغراق في الترحيب بجيردا دون غيرها .

قالت :

– جميل ان نراك يا جيردا ، فقد افتقدناك منذ وقت طويل .. وأنت يا جون !

ومع ذلك فلم تنجح المناورة ، بل شعرت جيردا انها ستكون محور اهتمامهم جميعاً ، وما ينطوي على هذا من متاعب .

وتابعت لوسي تحدث جون :

ـ أقدم لك ادوار الجكاتيل !

وحياه جون بإيماءة .

وكذلك فعلت جيردا ؟

وانعكست شمس الخريف على شعر جون الأشقر وعينيه الزرقاوين ، وبدا كفارس خرج لتوه مظفراً من معركة .

كان صوته دافئاً يطرب الأذن ، وسيطرت جاذبيته وشخصيته القوية على الجميع .

ولم يؤثر ذلك في لوسي ، وانما أثر في ادوار ، الذي بدا قزماً بالقياس الى الطبيب !

واقترحت هنريتا أن تصحب جيردا الى الحديقة ، وهي تقول للوسي :

ـ لا شك ان جيردا سيسرها ان ترى الحديقة في وقت الخريف .

وانطلقت جيردا في صحبة هنريتا ، وقد سرها أنها تخلصت من ليدي الجكاتيل ، وأقبلت على الحديث مع هنريتا ، ان هنريتا تعرف كيف تتبادل الحديث معها .

وبعد برهة شعرت جيردا بالسرور يغمر كيانها ، وفكرت انه ربما تكون عطلة آخر الأسبوع أقل سوءاً مما توقعت ..

وكان من السهل على هنريتا أن تجعل جيردا سعيدة .

وخيم الصمت برهة ، فعادت جيردا إلى سيرتها الأولى .

وعادت التعاسة إلى جميع مشاعرها ، وفزعت على صوت هنريتا تقول :

ـ إذا كنت تكرهين هذا المكان فلماذا حضرت ؟

ـ إنني .. إنني لا أكرهه ، لست أدري لماذا تعتقدين هذا ؟ الواقع إنها متعة أن يغادر الانسان لندن ، فضلا عن أن ليدي الجكاتيل شخصية عطوفة ..

- لوسي ؟ إنها ليست كذلك على الاطلاق !

- ولكنها حقيقة طيبة القلب ، لقد كانت هكذا دائماً معي .

- إنها رقيقة ، ولكنها تعرف كيف تكون قاسية ، وما دمت تكرهين البقاء هنا يا جيردا فلماذا حضرت ؟

- إن جون يحب هذا المكان .

- حسناً ، يمكنك أن تدعيه يأتي وحده

- انه لا يريد ذلك ، فهو يحب أن أرافقه ، انه ليس أنانياً ، وهو يعتقد ان جو الريف يفيدني كثيراً .

- حقيقة ان جو الريف جميل ، ولكن جو آل انجكاتيل ليس جميلا .

- أرجو ألا تظهريني بمظهر الناكر للجميل .

- اني شخصياً اعتقد ان آل انجكاتيل قوم ثقلاء !

وبعد برهة قالت :

- لقد حان موعد تناول الشاي ، هيا نعود .

وحين نهضتا للعودة إلى القصر ، كانت هنريتا تختلس النظر إلى وجه جيردا ، وتقول لنفسها :

« انه وجه شهيدة دفعوا بها إلى عرين الأسد » .

وحين برحتا الحديقة ، سمعتا أصوات طلقات نارية

فقالت هنريتا :

- يبدو ان آل انجكاتيل قد بدأوا المعركة !

وظهر ان الطلقات كانت من مسدسات ادوار والسير هنري اللذين كانا يتناقشان عن الأسلحة النارية ، ويطلقان الرصاص من وقت لآخر مصداقاً لكلامهما .

لقد كانت هواية السير هنري انجكاتيل هي الرماية ، وكان يحتفظ بمجموعة فريدة من الأسلحة .

وكان قد أحضر بعض المسدسات وبطاقـات الرماية ، وكان هو وادوار يطلقان الرصاص على هذه البطاقات .

وقال ادوار لهنريتا :

– هل تريدين أن تجربي براعتك في إصابة لص ؟

وأخذت هنريتا المسدس وصوبته ، ثم اطلقت النار ، ولكنها أخطأت الهدف .

وعرض هنري على جيردا ان تصيب الهدف ، فقالت :

– اني لا أعرف .

– إن الأمر بسيط ، دعيني أشرح لك

وأغمضت جيردا إحدى عينيها ، وأطلقت الرصاص .

فأخطأت الهدف ..

وتقدمت ميدج وهي تقول :

– دعوني أنا أجرب . آه ، انه أمر أصعب مما كنت أظن .

وخرجت اليهم لوسي وهي في صحبة شاب نحيف مقطب الوجه ، قدمته اليهم قائلة :

– هذا دافيد .

وأخذت المسدس من يد ميدج ، وحشته بالرصاص ، ودون كلمة واحدة أصابت الهدف ثلاث مرات .

فقالت ميدج في عجب .

– برافو لوسي ، لم أكن أعلم انك أيضاً ماهرة في الرماية .

فقال السير هنري :

– انها ماهرة بلا شك . وهي مهارة مفيدة ، هل تـذكرين يا عزيزتي الرجلين اللذين هاجماني على شاطىء البسفور ؟ لقد كان أحدهمـا فوقي والآخر يوشك أن يختفي .

فسألته ميدج :

– وماذا فعلت لوسي ؟

– لقد أصابت أحد الرجلين في ساقه ، والثاني في كتفه ، ونجوت أنا بأعجوبة من رصاص لوسي

فابتسمت لوسي وقالت :

– على الانسان ان يغامر احياناً ، وأن يغامر بسرعة ، دون ان يدع تفكيره يعوقه عن التصرف السريع .

– كلام معقول يا عزيزتي ، خصوصاً إذا كنت أنا محور المغامرة !

- ٥ -

وبعد تناول الشاي ، رافق جون هنريتا في نزهة خلال الحديقة .

وفكرت هنريتا :

إن النزهة مع جون شيء مختلف تماماً عن النزهة مع ادوار ، فمع ادوار تقتصر النزهة على التسكع ، أما جون فإنها لا تكاد تلحق به .

وما كادا يصلان إلى الربوة ، حتى قالت هنريتا وهي تلهث :

– إننا لسنا في سباق يا جون .

فأبطأ قليلاً ثم قال :

– الواقع إني مرهق .. مرهق جداً .

– كيف حال مسز كرابتري ؟

– إنها في حال أفضل .

وبدأت خطاه تسرع وتابع :

– إن أمامنا آفاقاً جديدة للعلاج . جميل ان يحضر المرء إلى هـذا المكان ، ليملأ رئتيه بالهواء النقي ، وجميل أن أراك . وهذا الجو سيفيد جيردا .

– وهل تحب جيردا أن تحضر إلى هذا المكان ؟

– طبعاً وعلى فكرة ، هل سبق لي أن قابلت ادوار ،

من قبل ؟

– لقد سبق أن قابلته مرتين

– إني لا أتذكر ، فادوار من الأشخاص ذوي الشخصية الباهتة .

– إن ادوار لطيف .. وأنا أميل اليه كثيراً .

– حسناً ، لن نضيع الوقت في المناقشة حـــول ادوار ، فأنا لا أهتم بأحد غيرك !

– أنت تخيفني أحياناً يا جون .

– ماذا تعنين ؟

– إنك تبدو أحياناً متجاهلاً لعواطف الغير ومشاعرهم .

– يا عزيزتي هنريتا .. ما معنى هذا ؟

– إنه اتجاه خطر ، فإنت تسلم بأن كل امرىء يحبك .. هنـــاك لوسي مثلاً ..

– ألا تحبني لوسي ؟ لقد كنت دائماً أميل اليها .

– ولأنك تميل اليها ، فأنت تسلم بأنها أيضاً تميل اليك . وكذلك الحال مع الباقين .. كيف تعرف شعورهم نحوك ؟

– وهنريتا .. هل أعرف شعورها إني على الأقل واثق منك ..

– لا يمكنك أن تثق بأي إنسان يا جون :

وقطب حاجبيه وقال :

– لا ! إني على الأقل واثق منك وواثق من نفسي .

* * *

وعلى مائدة العشاء وجدت هنريتا نفسها جالسة بجوار دافيد ، والتقت

عيناها على المائدة بعيني لوسي . وكان في عيني الأخيرة رجاء .

وكان سير هنري جالساً بجوار جيردا ، ويبدو انه نجح في فك عقال لسانها أما جون فكان يتابع حديث لوسي ذات القفزات والغمزات في سرور ، وأما ميدج فإنها راحت تتبادل الحديث مع ادوار ، الذي بـدا مشغول الذهن لاهياً عنها .

وكان دافيد يبدو غير راض ، وكان يعبر عن عدم رضاه بتفتيت الخبز الموضوع أمامه . إنه لا يحب هؤلاء الناس الكسالى .. إن مكانه بين الكادحين أما هؤلاء الارستقراطيون المتعجرفون فإنه يحتقرهم فضلاً عن أنهم أقارب ، والأقارب دائماً كالعقارب !

وحاولت هنريتا أن تبادله الحديث ، ولكن إجاباته كانت قصـيرة ، فلجأت الى طريقة جديدة طالما حلت عقدة الألسنة ، فأبدت رأياً خاطئاً عن موسيقى كانت تعرف ان دافيد يفضله . وسرها أن حيلتهـا نجحت ، فقد بدأ يبادلها حديثاً قاسياً ويبرهن على جهلها بصوت مرتفع .

ومنذ تلك اللحظة حتى نهاية العشاء ، جعـل يلقي عليها محاضرة طويلة ، في فضـائل الموسيقي الأثير لديه ، وتحولت هنريتا إلى مستمع طيب .

وبعد انتهاء العشاء ابتسمت لها لوسي معترفة بجميلها ثم تأبطت ذراعها إلى قاعة الجلوس وهي تقول :

– ما رأيك في قضاء السهرة في لعب البريدج، إن دافيد سيشعر نحونا جميعاً بالاحتقار وسيسره هذا الشعور .

ومدت مائدتين وجلست هنريتا بجانب جيردا ضد جون وادوار ولم تكن هذه فكرتها ولكنها رضيت بابعاد جيردا عن لوسي وجون . لكن جون كان مصمماً على الفوز وكان ادوار متفوقاً على جيردا ومضى الوقت ، وأخيراً ربحت هنريتا وجيردا.

ونهضت هنريتا واتجهت الى المدفأة ولحق بها جون وقال لها :

– لم تكوني دائماً حريصة على الربح ؟

– هل كنت كذلك ؟

– أعني انك كنت حريصة على أن تربح جيردا وأنت في محاولتك لإسعاد الآخرين لا تتورعين حتى عن الغش في اللعب .

– هذا تعبير صحيح مع الأسف .

– وكانت رغباتك تلقى ترحيباً من رفيقي في اللعب .

إذن فقد لاحظ أن ادوار كان يعاونها على إسعاد جيردا ، ورفع روحها المعنوية !.

* * *

وفجأة وبطريقة مسرحية دخلت فيرونيكا الغرفة من باب الشرفة ووقفت تبتسم إبتسامة ساحرة ..

وأخيراً قالت :

– أرجو المعذرة لتطفلي عليكم بهذه الصورة اني جارتك يا ليدي انجكاتيل ، فأنا أقيم في فيلا دوفكوت وتواجهني مشكلة محيرة .

وزادت ابتسامتها اتساعاً ثم تابعت :

– إني لم أجد عود كبريت واحد في المنزل ، وهذا مساء الأحد لقد كنت غبية حين نسيت أن أحضر معي كبريتاً .. وهكذا اضطررت أن أحضر إلى هنا لعلي أجد لديكم علبة كبريت .

وخيم الصمت على الجميع كان هذا من تأثير فيرونيكا .. لقد كانت فيرونيكا جميلة بدرجة تسحر كل من يراها بشعرها البلاتيني المتموج ، وابتسامتهـــا

العذبة وفراؤها الثمين الذي يغطي كتفيها .

وكانت تنظر إلى كل فرد على حدة كأنما هي تخصـــه بطلبها المتواضع ، وابتسامتها الساحرة .

وعادت تقول :

– وأنا أيضاً أدخن .. بشراهة وقداحتي لا تعمل هذا فضلاً عن تحضـــير الإفطار وإشعال الموقد . اني غبية حقاً !

وتقدمت لوسي وقالت في سرور :

– طبعاً يا عزيزتي ..

ولكن فيرونيكا كانت تنظر في تلك اللحظة الى جون كريستو في دهشة ممزوجة بالسرور ، وتقدمت منه باسطة ذراعيها ، وقاطعت ليدي انجكاتيل قائلة :

– يا إله السماء ! . انه جون بالتأكيد ! انه كريستو ، أليس هذا مدهشاً ! اني لم أرك منذ سنوات وفجأة أجدك هنا .

وكانت قد أمسكت بيديه واستدارت إلى ليدي انجكاتيل تقول لها .

– إنها مفاجأة طيبة فجون صديق قديم لي ، انه أول رجل خفق قلبي له وأحببته لقد كنت مجنونة بك يا جون .

وتقدم منها سير هنري في كياسة وكرم وعرض عليها كأساً ، وقرعت لوسي الجرس فدخل جدجيون ، رئيس الخدم ، فقالت له :

– نريد علبـة كبريت ، على الأقل ، هل لدى الطباخـة شيء من الكبريت .

– قد أحضرت دستة من علب الكبريت هذا الصباح يا سيدتي .

– إذن أحضر لنا نصف دستة !

فأسرعت فيرونيكا تقول وهي تبتسم :

– أوه ! علبة واحدة فيها الكفاية .

وقال جون كريستو وهو يقدم لها جيردا :

– هذه زوجتي .

– اني سعيدة حقاً بأن أراها

وأحضر جدجيون الكبريت على طبق فضي .

فأشارت ليدي انجكانيل نحو فيرونيكا كراي ، فتقدم بالطبق اليها ، فقالت :

– يا الله ! كل هذا !

– خـذيها كلها . فمن المتعب أن يكون لدى الإنسان ، شيء واحـد .

فوضعت كأسها ، ولفت الفراء حول جيدها بعناية وابتسمت لهم جميعاً وهي تقول .

– شكراً لـكم جميعاً ، فقـد كنتم كرماء .. هل ترافقني في طريق العودة يا جون ؟ إنني جد مشتاقة الى معرفة أحوالك ، كل هذه المدة الطويلة ؟

وسارت الى باب الشرفة ، يتبعها جون كريستو ، وقبل أن تختفي ابتسمت لهم جميعاً ..

وعلق هنري على الجو بأنه حار فاقترحت ليدي انجكانيل أن يأوى الجميع الى فراشهم قائلة :

– ويجب أن تذهب لمشاهدة أفلامها ، فمن مسرحية الليلة يجب أن يعترف الانسان بأنها ممثلة بارعة

وسألتها ميدج وهي تودعها :

– ما معنى قولك مسرحية ؟

– ألا تعتقدين انها كانت مسرحية ؟

– تعنين انه كان لديها كبريت ؟

- أعتقد أن لديها مئات العلب يا عزيزتي . لكنها كانت مسرحية متقنة على كل حال !

وهدأت الأصوات في قصر هولو ، وأغلقت أبواب حجرات النوم الواقعة على جانبي الدهليز الطويل .

وأسرعت فيرونيكا كراي في طريق العودة ، حتى اذا اجتازت الغابة ، وصلت الى ساحة واسعة فيها حمام للسباحة والى جواره مقصورة زجاجية . وتوقفت فيرونيكا لتواجه جون ثم أشارت إلى حمام السباحة الذي انتثرت فوق سطحه أوراق الشجر الجافة وقالت ضاحكة :

- انه لا يشبه البحر الأبيض أليس كذلك ؟

وأحس جون في تلك اللحظة انه في خلال السنين الخمس عشرة التي عاشها بعيداً عن فيرونيكا كانت لا تزال معه .. وان المياه الزرقاء والهواء الساخن والرمال .. كل هذا كان بعيداً عن ناظره ولكنه لم يكن منسياً ا. ان كل هذا معناه شيء واحد هو : فيرونيكا وأحس مرة أخرى انه شاب في الرابعة والعشرين من عمره ، غارق في الحب حتى أذنيه ولكنه لن يهرب من الميدان هذه المرة !!

* * *

حين رجع جون كريستو الى قصر هولو كانت الحديقة والقصر غارقتين في ضوء القمر . وكانت نوافذ القصر تبدو بريئة وهي مغلقة ، ونظر الى ساعته كانت تشير الى الثالثة صباحاً .

وتنهد في قلق . انه لم يعد ابن الرابعة والعشرين انه اليوم رجـل مجرب يبلغ الأربعين ذو عقل راجح وتفكير عملي . لقد كان أحمق ولكنه ليس نادماً

على ما حدث فقد أصبح أخيراً سيد نفسه، كان كمن يحمل عبئاً ثقيلاً على كتفيه أما الآن فقد تحرر ..

انه الآن الدكتور جون كريستو طبيب شارع هارلي المشهور وفيرونيكا كراي لا تعنيه في شيء . وكل ذكريات الماضي وعذابه كانت بسبب فراره من الموقف كله ، ومن ثم بقي شبح فيرونيكا يقض مضجعه . وها هي قد شقت حجب الماضي وعادت اليه ، ولقد رحب بقدمها وواجهها ، وتخلص منها ومن شبحها !.

لقد قضى ثلاث ساعات مع فيرونيكا . لقد اقتحمت عليه سهرته وأخذته من بين أصدقائه ، ومضت به ..

ترى ماذا ظن الجميع ؟ ماذا ظنت جيردا مثلاً وهنريتا ؟ ولكنه لا يهتم كثيراً بهنريتا ..

إنه يمكن أن يشرح لها الأمور ولكنه لن يتمكن من شرحها لجيردا وهو لا يريد أن يفقد أحداً .

إنه يخشى أن يحدث ما يكدر استقراره العائلي ، لقد كان مجنوناً حين وافق على مرافقة فيرونيكا إلى بيتها ، لكن لحسن الحظ لن يصدق أحد أو يعرف ما حدث .

إن كل امرئ قد أوى إلى فراشه الآن . وها هوذا باب الشرفة وقد ترك مفتوحاً له

والقى نظرة ثانية على نوافذ القصر النائم

وفجأة سمع صوت باب يغلق . وفزع لو ان أحداً تبعه إلى حمام السباحة ، لوصل قبله بدقائق ..

ونظر الى النوافذ مرة ثالثة .

هل يراقبه أحد ، هل هي هنريتا ؟ إنه لا يجب أن يفقد هنريتا ، سيقول لها أن الماضي قد مضى وانقضى، وانه سيبدأ من جديد .. فقد كان في الماضي

يهرب من نفسه ، لأنه لم يكن يعرف هل هرب من فيرونيكا عن ضعف أو عن قوة ، ومن ثم أورثه هذا شعوراً بالخوف من نفسه ومن الحياة ومنها ! آه لو أيقظها ، وسار معها إلى حافة الغابة وجلسا يرقبان بزوغ الشمس .. إذن لأمكنه أن يشرح لها ..

وقال لنفسه :

أنت مجنون ! ما هذه الأفكار ؟ ألا يكفي انك ارتكبت عملا جنونياً واحداً الليلة ؟. إن أنت تخلصت من عواقب جنونك الليلة ، فأنت شخص محظوظ ..

ماذا تظن بـه جيردا إذا هي رأته يعـود إلى القصر مع الصباح ؟ وماذا يظن آل انجكاتيل ؟ ولكنـــه في الواقع لم يكن يهتم بآل انجكاتيل . لكن جيردا .. إن عليه ان يعالج جيردا الآن ، وفي الحال .. لكن إذا كانت هي التي تبعته فماذا يقول لها ؟

لكن نبل جيردا لا يسمح لها بالتجسس على الناس . هراء .. لقـد رأى بنفسه أنبل الناس يتسمع على الناس ويتجسس عليهم .

هل تعلم جيردا ؟

لا . لا يمكن أن تكون قد علمت .. إنها الآن نائمة .

واجتاز باب الشرفة ثم أغلقه خلفه ، وتلمس طريقه إلى الطابق العلوي ، ثم وقف برهة أمام غرفة نومه ثم فتح الباب ودخل .. كانت الغرفة مظلمـة وكان بوسعه ان يسمع تنفس جيردا الرتيب ، وتحركت قليلا حين نام بجوارها وقالت بصوت يغلبه النعاس :

– أهذا أنت يا جون ؟

– نعم .

– ألا ترى أنك تأخرت . كم الساعة الآن ؟

– لا أدري ، آسف لأني أيقظتك .

— حسناً طابت ليلتك .

ها قد انتهى الأمر ، على ما يرام ، لحسن الحظ ، لقد كان محظوظاً دائماً ..

وتذكر قول زينا :

« وهذه فوق رأسك . إنها تسيطر عليك »

فقد كانت فيرونيكا .

أما الان : « فليس لأحد سيطرة علي يا بنيتي ، فقد انتهى كل شيء ، وتحررت » !

- ٦ -

كانت الساعة قد قاربت العاشرة حين هبط جون إلى الطابق الأرضي في صباح اليوم التالي ، فوجد فطوره معداً على إحدى الموائد ، وكانت جيردا قد تناولت فطورها في فراشها ، حتى لا تزعج أحداً .

كان شعوره طيباً تجاه جيردا هذا الصباح ..

وبدا له ان المضايقات التي كانت ترهق أعصابه أخيراً ، قد زايلتـه تمامـــاً .

وكان السير هنري قد خرج مع إدوار في نزهة صيد .

بينما راحت ليدي انجكاتيل تقضي الوقت في العناية بالحديقة وهي تحمـل سلة وتحمي يديها بقفاز ، وقد ظل جون يبادلها الحديث برهة ، حتى اقترب منه جدجيون ، وقدم رسالة على طبق فضي ، قائلا :

– لقد وصلت هذه الرسالة الآن مع رسول يا سيدي .

وتناول الرسالة ، ورفع حاجبيه عجباً حين عرف الخط .

لقد كانت الرسالة من فيرونيكا ، وسار إلى المكتبة ، حيث فض الرسالة وقرأ فيها :

« أرجو أن تتفضل بزيارتي هذا الصباح ، يجب أن أراك » .

« فيرونيكا »

نفس اللهجة الآمرة ، وكان ينوي ألا يلبي الدعوة ، ولكنه عاد وقرر ان يجيب الدعوة فوراً ويضع نهاية لهذه المسألة .

وسار في طريقه إلى حمام السباحة ، الذي كان يبدو كأنــه نواة تتفرع عنها جميع طرق الحديقة والغابة في كل اتجاه !

وأخذ يرتقي التل في الغابة .

واحد إلى حديقة الأزهار التي تعلو القصر وآخر إلى حديقة الخضر ، وآخر يؤدي إلى فيلا دوفكوت .

وكانت فيرونيكا في انتظاره ..

كانت ترقبه من نافذة حجرة الجلوس !

فقالت له :

– تفضل بالدخول ، إن الجو بارد هذا الصباح .

وفي حجرة الجلوس كانت النار مشتعلة .

وفي ضوء المصباح علم ، وهو يحدق فيها ، الفوارق بينها وبين فيرونيكا التي عرفها منذ خمسة عشر عاماً ، وهي الفوارق التي لم يفطن اليها في الليلة الماضية .

إنها أوفر جمالاً الآن ، ولا شك أنها تقدر جمالها حق قدره ، وتتعهده ورعاه .

أما شعرها الذهبي ، فقد تحول الى اللون الفضي ، وأما حاجباها فقد تغيرا وأعطيا لوجهها تعبيراً أكثر حدة ، وهي لم تكن أبداً على جانب قليل من الثقافة ، فهي تحمل درجة جامعية ، ويمكنها أن تدير مناقشة فيهـا ذكاء واطلاع .

ولكنها ظلت إمرأة أنانية إلى أبعد الحدود .

فقالت فيرونيكا :

– لقـــد أرسلت في طلبك ، لأن علينا أن نتحــدث ، ونرتب

أمورنا للمستقبل .

فأشعل لفافة تبغ ..

ثم قال وهو يبتسم بلطف :

– ولكن ، هل أمامنا ما يمكن أن نطلق عليه اسم المستقبل ؟

– ماذا تعني ؟ أمامنا المستقبل ، لقد أضعنا خمسة عشر عاماً ، فلا داعي للمزيد من الوقت الضائع .

– انني آسف ، ولكن يبدو انك لم تفهمي الأمور على حقيقتها ، لقد .. تمتعت باللقاء معك ليلة أمس ، ولكن لكل منا طريقاً في الحياة جد مختلف .

– هراء .. إننا نتبادل الحب ، ولقد كنا نتبادل الحب منذ وقت طويل ، وكنت عنيداً جداً في الماضي ، انني لا أنوي العودة الى الولايات المتحدة ، بل سأبقى في لندن ، فلدي مسرحية رائعة سأقوم بتمثيل الدور الأول فيها ، ولا شك انها ستنجح .

– إنني واثق أنها ستنجح .

– وهكذا يمكنك أن تمارس عملك الطبي ، فقد أصبحت الآن طبيباً مشهوراً .

– ولكنني متزوج ولي أطفال .

– أنا شخصياً متزوجة الآن ، ولكن هذه الأمور يسهل معالجتها ويمكن لأي محام ماهر أن يرتب كل شيء ، فقد كنت دائماً أحلم بالزواج منك يا حبيبي ، ولست أدري سر هذه العاطفة الجياشة ولكنها هي الحقيقة .

– اني اسف يا عزيزتي ، فإن لكل منا طريقه في الحياة ، ولا فائدة ترجى من محام يقوم بأية ترتيبات !

أنت إذن تفضل امرأتك واولادك ؟
– قد يبدو هذا غريباً ، ولكنه الحقيقة
– هراء ، انك لا زلت تحبني !
– انني آسف يا فيرونيكا .
– تعني انك لا تحبني ؟
– من الأفضل أن نوضح هذه المسائل ، فأنت سيدة رائعة الجمال ، لكني لا أحبك !
وجلست فيرونيكا كأنها تمثال ، وأشعره جمودها بالقلق وحين تكلمت كان في حديثها قسوة روعته :
– من هي ؟
– ماذا تعنين ؟
– تلك المرأة التي كانت تقف معك بالأمس .
كانت تقصد هنريتا !
وبصوت عال قال :
– من تقصدين ، ميدج هارد كاسل ؟
– ميدج هي الفتاة السمراء ، وأنا لا أقصدها ، ولا أقصد أيضاً إمرأتك اني أقصد تلك الأخرى التي كانت تقف معك قرب المدفأة ، إنك ترفض الزواج مني بسببها ، ولا تحاول أن تلبس مسوح البراءة ، فتدعى أن ذلك بخصوص إمرأتك وأولادك
ونهضت من مقعدها . .
واتجهت اليه !
ثم قالت :
– ألا تعلم يا جون اني منذ أتيت إلى انجلترا قبل ثمانية عشر شهراً وأنا أفكر فيك ؟

– لماذا أتيت إلى هذا المكان ؟

– إني أتيت لأني اكتشفت انك تأتي في عطلة نهـــاية الأسبوع لزيارة آل انجكاتيل .

– إذن فقد كان كل ما حدث أمس من قبيل التمثيل .

– انك خلقت من أجلي يا جون ، لا شك في هذا ..

– أحقاً ؟

– اصغ الي .. لقـــد تخليت عني منذ خمسة عشر عاماً ، وها أنت تتخـــلى عني اليوم ، وسأجعلك تندم ، في يوم من الأيام ، على ما فعلت .

ونهض كريستو إلى الباب ..

ثم قال :

– إني آسف ، يا فيرونيكا ، إذا كنت قد جرحت شعورك .. إنك رائعـــة الجمال ، وكنت قد أحببتك .. ألا نترك المسألة عنـــد هذا الحد ؟

– وداعاً يا كريستو ، اني لن أترك المسألة عند هذا الحد ، وسترى اني اكرهك كما لم أكره أي إنسان آخر .

فهز كتفيه وقال :

– إني اسف وداعاً !

وعاد كريستو خلال الغابة وهو يسير الهوينا .

وحين بلغ حمام السباحة قعد على أحد المقاعد ، انه لم يـــأسف على معاملته لفيرونيكا ..

لقد كانت مشكلة رديئة ، ومن الأفضل له أنه تخلص منها في الوقت المناسب .

وغمره شعور غريب بأنه يبدأ صفحة جديدة من حياته .

وفجأة سمع صوتاً . فنظر إلى مصدره وقد أزعجه أن يعكر عليه خواطره .

وسمع أصوات طلقات نارية في الغابة.. ربما كان الصوت صادراً عن الطيور الفارة من الغابة ..

ولكن لا ..

إن هذا صوت اخر انه صوت ..

وتملكه شعور بالخطر ..

إن هناك من يرقبه !.

واستدار فجأة !.

ولكنه لم يستدر بسرعة !

فقد رأى من يراقبه .

واتسعت حدقتاه في دهشة

ولكن لم يكن أمامه الوقت الكافي للحديث .

ومزق السكون صوت طلق ناري ، وسقط كريستو على وجهه على طرف حمام السباحة ، وجرى خيط رفيع من الدم على حافة الحمام ، وسقط في الماء .

* * *

فرغ هركيول بوارو من ارتداء ملابسه ، والقى نظرة أخيرة عليها ، وشعر بالارتياح .

لقد كان يعرف نوع الملابس التي يرتديها الانجليز في الريف ، ولكنه لم يكن ينوي أن يتبع الذوق الانجليزي .

انه لا يحب الريف الانجليزى .
لقد اشترى ريست هافن لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ، لقد أعجبته الفيلا وأعجبته بصفة خاصة الخضر التي قام بتنسيقها خادمه البلجيكي فيكتور ، أما فرانسواز إمرأة فيكتور ، فقد ركزت اهتمامها في طهو الطعام .

وغادر بوارو باب الحديقة ، ثم القى نظرة على حذائه اللامع ، وأحكم وضع قبعته ، وسار في طريقه إلى قصر هولو .

وكانت هذه أول زيارة لآل انجكاتيل .

والواقع انه كان مسروراً لتلبية دعوتهم ، فقد كانت لديه فكرة طيبة عنهم ترجع إلى أيام بغداد ، خصوصاً ليدي انجكاتيل التي كانت في رأيه رائعة .

ووصل إلى باب القصر في الساعة الواحدة إلا دقيقة ، فدق الجرس ، وفتح الخادم الباب ، وقال :

– ان سيدتي الليدي في الاستراحة الملحقة بحمام السباحة تفضل يا سيدي من هذا الطريق .

كان من عادة ال انجكاتيل ان يدعوا ضيوفهم إلى كوكتيل الساعة الواحدة في الاستراحة الملحقة بحمام السباحة ..

أما الغداء فكان موعده الواحدة والنصف ، فمن الواحدة حتى الواحدة والنصف ، يكون جميع ضيوف الليدي قد حضروا ، فيبدأ الغداء دون تأخير .

ومضى بوارو خلف رئيس الخدم ، وفي هذه اللحظة سمع صرخة قصيرة زادته ضيقاً وأطاحت بسروره .

فلم يكن قد وضع في حسابه انه سيسمع صراخاً .

وتنحى رئيس الخدم ليسمح لبوارو بالتقدم ، وتنحنح ليعلن قدومه بطريقته المعروفة ..

لكنه شهق وصمت !

أما بوارو فإنه سار الى الفضاء المحيط بحمام السباحة ، ولكنــه جمد في مكانه من فرط الدهشة والغضب ..

لقد أحكموا تمثيل المسرحية !

لم يخطر له ببال ان ال انجكاتيل يمكن ان يدبروا له مثل هــذه المفاجأة الرخيصة .

كان أمامه « منظر » جريمة قتل مثلت خير تمثيل : فإلى قرب حمـــام السباحة كانت الجثة ، وقد احكم وضعها على حافة حمام السباحة ، بل بسطوا للجثة ذراعاً .

ولم يغفلوا الطلاء الأحمر الذي سكبوه على الجثة وجعلوه يسيل ببطء الى مياه الحمام .

والى قرب الجثة وقفت سيدة تمسك مسدساً في يدها : سيدة متوسطـة العمر ، قوية الجسم ، ذات نظرة فارغة .

وكان ثمة ممثلين اخرين ..

ففي الطرف الآخر من حمام السباحة وقفت سيدة حمراء الشعر فارعـة القامة ، تحمل سلة مملوءة بزهور الداليا .

وعلى مسافة غير بعيدة منها وقف رجل طويل القـامة ، يلبس ملابس الصيد ، ويحمل بندقية ..

والى يساره ظهرت مضيفته ليدي انجكاتيل ، تحمل سلة بيض !

وكان واضحاً لبوارو ان حمام السباحة هو ملتقى ممرات الحديقة ، وان كل شخص من هؤلاء اقبل من ممر مختلف .

كان المنظر كله غير طبيعي !

كأنما احكم ترتيبه .

وتنهد بوارو .. ترى ماذا يريدون منه أن يفعل ؟ هل ينتظرون منه

أن يصدق أن هذه جريمة ؟ أم هم يريدونـــه أن يفزع ، أو ينحني للسادة الممثلين ويقول :

« انه اداء ممتاز ومسرحية ناجحة » ؟

واتجهت ليدي انجكاتيل إلى الجثة ، وتبعها بوارو وهو يشعر بأنفـاس كبير الخدم اللاهثة خلفه ..

وقال لنفسه :

« يظهر ان كبير الخدم ليس مطلعاً على سر المسرحية »

ومن الطرف الأقصى لحمام السباحة اقترب الاثنان الآخران حتى التقيـا بهما ، ونظر الجميع إلى الجثة الملقاة على الأرض .

* * *

وفجأة أدرك أن المنظر المسرحي يحمل ظلالاً من الحقيقة ، فقـد كانت الجثة لشخص يعاني سكرات الموت ..

وما خاله طلاء أحمر ليس إلا دمـاً ، لقد أطلق الرصاص على الرجـل منذ لحظات .

والقى نظرة سريعة على المرأة التي تحمل المسدس في يدها .

وكان وجهها خـــالياً من التعبير عن أية عاطفة ، كانت تبدو مذهولة غبية .

ترى هل ذهبت احساساتها مع الطلقة التي خرجت من مسدسها ؟

ونظر إلى الرجل المصاب ، وجفل حين وجده مفتوح العينين ، وكانت عيناه زرقاوين عميقتين ، وتحمل معنى واضحاً من الحيوية !

وفتح جون كريستو فمه ليتكلم ، وكان صوته واضحاً ، سريعـــاً ،

قاطعاً ، وقال :

« هنريتا» !

ثم انحـدر رأسه ، وأغمض عينيه .. وركع بوارو بجواره ، وفحصه ، ثم قال :

– نعم .. إنه مات !

وفجأة دبت الحيوية في الجماعة .

وبدأ رد الفعل يظهر على الجميع ، وأحس بوارو انه في تمام اليقظة يسجل حركات الجميع ..

لقد لاحظ ان ليدي انجكاتيل قد خفت قبضتها على سلة البيض .

واقترب رئيس الخدم بسرعة والتقط السلة قبل أن تسقط !

وغمغمت الليدي :

– شكراً لك !.

وترددت قليلا ..

ثم قالت :

– جيردا !

وانتفضت السيدة التي تحمل المسدس ، وواجهتهم جميعاً . وحين تكلمت كانت الحيرة واضحة في نبرات صوتها قالت :

– لقد مات جون .. مات جون !

وبسرعة تحركت السيدة ذات الشعر الأحمر إلى قربها وقالت :

– جيردا ، اعطني هذا ..

وقبل أن يتحرك بوارو ، او يحتج ، أخذت المسدس من يد جـيردا كريستو .

واقترب بوارو خطوة نحوها وقال :

– لا ينبغي أن تفعلي هذا يا آنسة .

وحلقت الآنسة ذات الشعر الأحمر فيه بعصبية ، وانزلق المسدس من يــدها .

وكانت تقف على حافة الحمام فسقط المسدس في الماء ! وفغرت فـاها في دهشة ممزوجة بالأسف ، وقالت :

- اوه ! كم أنا غبية . إنني آسفة . .

وصمت بوارو لحظة ، كان يحدق في عينيها الرماديتين الصافيتين ، وكانت تبادله نظرات ثابتة .

وظن بوارو لحظة انه قد أخطأ حقيقة نواياها . .

وقال بهدوء :

- لا ينبغي أن نغير من الوضع شيئاً ، وكل شيء يجب أن يظل في مكانه حتى يحضر رجال البوليس .

ولدى ذكر كلمة « البوليس » سرت رعدة في الجميع وقــالت ليدي انجكاتيل في صوت لا ينم عن الارتياح :

- آه طبعاً . . البوليس .

وقال ادوار وهو الذي يرتدي ملابس الصيد :

- اخشى أنه لا بد من استدعاء البوليس يا لوسي .

وران الصمت على الجميع .

وفي هذه اللحظة سمعوا وقع خطوات سريعة ، وأقبــل سير هنري انجكاتيل ترافقه ميدج هارد كاسيل ، وهما يتصايحان ويضحكان ، وحينما رأيا الجماعة التي تقف إلى قرب حمام السباحة ، توقف هـنري ، وسأل في دهشة :

- ماذا حدث ؟

فقالت ليدي انجكاتيل في صوت حاد :

- إن جيردا قد . أقصد أن جون قد . .

وقالت جيردا في صوتها الحائر :

– لقد اطلق الرصاص على جون ، لقد مات !

وأشاح الجميع عنها في ارتباك .

وقالت ليدي انجكاتيل بسرعة :

– أظن من الأفضل أن تصيبي شيئاً من الراحة يا جيردا ، يحسن بنا أن نعود إلى القصر ، ونترك هنري وبوارو هنا ، ريثما يأتي البوليس .

فقال سير هنري :

– هذه فكرة طيبة !

ثم استدار إلى رئيس الخدم ، وقال له :

– عليك ان تتصل تليفونياً بالبوليس ، وانبئهم بما حدث ، ومتى حضروا فات بهم إلى هنا .

فأومأ وقال :

– حسناً يا سير هنري .

وقالت هنريتا :

– هيا يا جيردا .

ثم تأبطت ذراعها ، وقادتها نحو القصر ، وكانت جيردا تمشي كأنها في حلم !

واستدار سير هنري إلى زوجته وسألها :

– والآن يا لوسي ، ماذا حدث بالضبط ؟

فمدت انجكاتيل ذراعيها في حركة جميلة يائسة ، حتى لقد أحس بوارو برشاقتها ، وقالت :

– انني لا أعرف يا عزيزي ، كنت في حظيرة الدجاج حين سمعت صوت طلق ناري يبدو قريباً ، ولكني لم أهتم به ، وبعد برهة عدت من الممر لارى جون ملقى على حافة حمام السباحة وقد وقفت بجواره جيردا

تحمل مسدساً ، وفي هذه اللحظة وصلت هنريتـــا وادوار من الطرف الآخر للحمام .

وتنحنح بوارو وسأل :

— من هما جون وجيردا ؟

— آه طبعاً ، إن الانسان ينسى أحياناً أن يقدم الأشخـــاص ، الموتى .. جون هو جون كريستو ، دكتور كريستو ، وجيردا كريستو هي امرأته .

— ومن هي الآنسة التي كانت ترافق مسز كريستو الى القصر ؟

— انها ابنة عمي هنريتا سافرنيك .

وشعرت بحركة خفيفة تصدر عن بوارو ، لقد قال الميت : « هنريتا » ، وقالها بلهجة غريبة .

واستمرت انجكاتيل في تقديم زوارها فقالت :

— وهذا ابن عم اخر ادوار انجكاتيل ، وهذه الآنسة هاردكاسل .

فانحنى لهم بوارو بأدب ..

وشعرت ميدج أن منظره يبعث على الضحك ، ولكنها قاومت الضحك بمجهود كبير .

وأخيراً قال سير هنري :

— والآن يا عزيزتي ، اظن انه يحسن أن تذهبوا إلى القصر وسأتحدث هنا مع مستر بوارو .

ثم التفت إلى هذا الأخير وقال :

— انك تعلم الكثير عن هذه المسائل ، إنني لم أواجه جريمة قتل من قبل ، أرجو ان أكون قد تصرفت التصرف الصحيح .

— لقد تصرفت التصرف الصحيح ، فاستدعيت البوليس ، وحتى يحضر البوليس ليس امامنا ما يمكن ان نفعله ، اللهم إلا المحافظة على كل شيء

كما هو .

وكان وهو يتكلم ، ينظر الى المسدس الملقى في قاع الحمام ، لقد تدخل بعضهم لتشويه هذا الدليل ، ولكن يظهر ان ما وقع كان من قبيل المصادفة .

وقال سير هنري :

– إن الجو بارد هنا ، ألا يحسن أن نجلس في الاستراحة ؟

ووافق بوارو على الفور .

لقد كانت الاستراحة في الطرف البعيد من حوض السباحة ، ومن خلال بابها المفتوح امكنهما أن يراقبا كل شيء أمامهما ، ويريا الطريق الذي سيأتي منه رجال البوليس .

وكانت الاستراحة مفروشة فرشا أنيقاً ، وعلى منضدة في وسطها كانت أقداح الشراب موضوعة مع قنينة شيري .

وقال هنري :

– بودي أن أقدم لك قدحا ، لولا أنه من غير المستحب أن نمس أي شيء هنا ، ولو اني لا أظن أن للاستراحة شأنا في هذه الجريمة .

وجلسا على مقعدين بجوار الباب ، وران عليهما الصمت

وفحص بوارو الاستراحة ، فلم ير شيئا غير مألوف ، اللهم إلا معطف فرو ملقى على أحد المقاعد .

وعجب بوارو ..

ترى من هي صاحبته ؟

انه شيء أنيق غالي الثمن لا يتمشى مع بساطة هؤلاء النـــاس ، ولا يمكن لبوارو أن يتخيل أن واحدة منهن هي صاحبته ..

وشعر بالقلق لهذه الفكرة .

وقدم سير هنري سيجارة لبوارو وقال :

ـ أظن أنه يمكننا أن ندخن .

ولم يمد بوارو يده على الفور ليأخذ السيجارة !

فقد كان يتشمم رائحة !.

رائحة عطر فرنسي ، غالي الثمن . ومرة أخرى لم يتصور بوارو ان هذا العطر يمكن أن يكون لأحد من سكان قصر هولو .

وحين انحنى ليشعل له سير هنري سيجارته ، لمح بعض علب الكبريت ، ست علب مرصوصة على طاولة صغيرة بجوار أحد المقاعد .

ورأى بوارو أن وجود هذا الكبريت شيء غريب . .

- ٧ -

قالت ليدي انجكاتيل وهي جالسة في قاعة الاستقبال مع ميدج وادوار في انتظار ما يحـــدث خلف باب حجرة المكتب ، حيث جلس سير هنري وبوارو والمفتش جرانج :

- الساعة الان الثانية والنصف ، ولا زلت أرى يا ميدج انه لا بد من تصرف معين بخصوص الغداء . إن الجلوس إلى مائدة الغداء ، كأنما لم يحدث شيء ، أمر يبدو غير معقــول ، ولكن لا تنسي اننا دعونا مســتر بوارو للغداء ، ولا شك انه الان جائع ، ولا شك أن موت جون كريستو لن يؤثر فيه كما أثر فينا ، هذا فضلاً عن ان هنري وادوار لا بد أن يكونا جائعين بعد رحلة الصيد .

قالت ميدج :

- لا تقلقي بشأني يا عزيزتي لوسي .

- أنت لطيفة دائماً ، لكن دافيد لا شك جائع الان . على فكرة أين هو؟ إني لم أراه ؟

- قد صعد إلى غرفته بعد أن سمع بأنباء الجريمة .

- حسناً فعل ، لكن كيف يتصرف الانسان مع جيردا ؟ أنرسل الطعام الى حجرتها ؟ بعض الحساء مثلاً ؟

فدخل الخادم يقول :

– قد وضعت بعض الشطائر (السنديشات) والقهوة في حجرة الطعام يا سيدتي الليدي .

– أوه ! شكراً يا جدجيون .

حقاً ان جدجيون رائع ، ولا أدري ماذا يمكن أن أفعل بدونه انه دائماً يعرف كيف يتصرف التصرف الصحيح .

ودخلت هنريتا الغرفة مرفوعة الرأس ، فسألتها الليدي انجكاتيل :

– آه هنريتا ماذا فعلت مع جيردا ؟

– أعطيتها بعض البراندي .

– إنه علاج طيب للصدمات ، على اني لا أظن ان جيردا تعاني من صدمة ، ولو اني لا أعرف شعور المرأة التي تقتل زوجها . .

فقالت هنريتا ببرود .

– ما الذي جعلكم جميعاً متأكدين ، من أن جيردا هي التي قتلت جون ؟

وران الصمت على الجميع برهة وشعرت ميدج ان الجو قد توتر ، وأخيراً قالت الليدي انجكاتيل :

– كان هذا يبدو واضحاً بسيطاً لكن ما رأيك أنت ؟

– اليس الأرجح أن تكون مرت بجوار حمام السباحة فرأت زوجها ملقى بجواره ، فالتقطت المسدس في نفس اللحظة التي حضرنا نحن فيها إلى مسرح الجريمة ؟

وخيم عليهم الصمت مرة أخرى .

وأخيراً قالت الليدي انجكاتيل :

– أهذا ما تقوله جيردا ؟

– نعم

– حسناً !. ان هناك بعض السندويشات والقهوة ، في حجرة الطعام !.

ثم شهقت حين رأت جيردا تدخل الحجرة وهي تقول :

– لم أستطع الاستلقاء اني أشعر بالقلق والضجر .

– لكن يجب أن تستريحي .

وأجلستها في مقعد مريح ثم قالت :

– يا للفتاة المسكينة ؟

ونهض ادوار إلى النافذة وقالت جيردا في ارتباك :

– قد بدأت أدرك ما حدث اني لا يمكن أن أصدقه ان جون لم يمت ، ومن يمكن أن يقتله ؟ انه ليس له أي أعداء .

والتفتت الليدي انجكاتيل فجأة الى باب المكتبة فقد فتح وخرج منه سير هنري يرافقه المفتش جرانج ، وكان رجلاً ضخم الجسم عريض المنكبين ، فقال هنري :

– هذه زوجتي يا سيدي المفتش .

– أيمكن ان أتبادل الحديث مع مسز كريستو ؟

فأشارت الى جيردا ، فقال المفتش :

– أأنت مسز كريستو ؟

– نعم .

– اني لا أريد إزعاجك لكني أريد ان القي عليك بضعة أسئلة وطبعاً يمكنك ان تطلبي حضور محام .

– محام ؟ لماذا ؟ ماذا يعرف المحامي عن موت جون ؟

فسعل المفتش وقالت هنريتا :

– إن المفتش يريد أن يعرف ماذا حدث هذا الصباح .

– إن ما حدث يبدو كحلم مزعج ، انه ليس الحقيقة على الاطلاق ،

اني لا أقوى على الصراخ أو البكاء ، اني أشعر اني مسلوبة الإرادة .
ـ هذا من تأثير الصدمة يا مسز كريستو .
ـ أظنه كذلك لكن كل شيء حدث بسرعة فقد غادرت القصر وسرت في الممر المؤدي الى حمام السباحة ..
ـ كم كانت الساعة يا مسز كريستو ؟
ـ كانت الواحدة الا دقيقتين وأنا متأكدة من الوقت لأني تطلعت الى الساعة قبل أن أترك القصر ، وحين بلغت حمام السباحة كان جون ملقى على حافته وقد نزف منه دم كثير سال على حافة الحمام وسقط في الماء .
ـ أسمعت صوت طلق ناري ؟
ـ نعم ! لا ! الواقع اني لا أعلم فقد كنت أعلم ان سير هنري ومسز انجكاتيل يصطادان في الغابة . لأن كل ما رأيته هو جون .
ـ نعم يا مسز كريستو ثم ماذا ؟
ـ جون .. والدم . ومسدس ملقى بجانبه فالتقطت المسدس .
ـ لماذا التقطت المسدس ؟
ـ اني . اني لا أعلم ؟
ـ كان لا ينبغي أن تلتقطيه .
ـ أحقاً ؟ لكني فعلت !
وكانت تنظر الى يديها ، كأنما هي تبحث عن المسدس ، وفجأة تحولت الى المفتش وقالت في صوت حاد وفي ألم :
ـ من يمكن أن يقتله ؟ ان أحداً لا يحقد على جون ، فقد كان أفضل الرجال :
كان كريماً منكراً لذاته مضحياً براحته في سبيل خدمة الغير . كان مثالاً للزوج العطوف الكريم .
لا شك ان القتل حدث خطأ ، لا بد ..

وأشارت بيديها الى الجميع وقالت :

– سل الجميع ، ان أحداً لم يكن يبغي قتل جون ، أليس كذلك ؟

وطوى المفتش كرانج دفتر مذكراته وقال :

– شكراً لك يا مسز كريستو أظن هذا كافياً الان .

وخرج بوارو من القصر برفقة المفتش كرانج في طريقهما الى حمام السباحة ، وكانت جثة جون قد تم فحصها وتصويرها بمعرفة الطبيب الشرعي فنقلت الى المشرحة . .

وظهر شخص على سطح ماء الحمام وقال للمفتش :

– ها هو المسدس يا سيدي .

فأخذ المفتش السلاح بعناية ثم قال :

– لا أمل في العثور على بصمات لكن هذا لا يهم فقد رأى الجميع أن مسز كريستو كانت ممسكة به ، أليس كذلك يا مستر بوارو ؟

– نعم .

– ان التعرف على المسدس هو الخطوة التالية ، وأظن ان سير هنري سيفعل ذلك بسهولة ولا شك انها حصلت عليه من غرفة مكتبه .

– أتعني ان مسز كريستو أطلقت الرصاص على زوجها ؟

– ألا تظن ذلك ؟

– ربما كان الأمر كما قالت .

– ربما ، لكنها قصة لا يصدقها معتوه ، فضلاً عن أنهم جميعاً يظنون أنها قتلته ، وهم أكثر منا علماً بالحقائق .. فقد رأيتها بنفسك ، ألا تظن أنها القاتلة ؟

وغرق بوارو في خواطره ، وعاد بذاكرته إلى اللحظات التي شهد فيها الحادث . لقد كان يبدو غير حقيقي ، كأنما هو دور يؤدى على مسرح . وتذكر

نظرة مسز كريستو الجوفاء ، ترى أهذه هي نظرات القتلة ؟

ولدهشة بوارو أدرك أنه خلال تاريخه البوليسي الطويـل ، لم يقابل قاتلاً واحداً لحظة ارتكاب الجريمة ، ومن ثم لم يكن يعرف أي نظرة يمكن أن ترتسم في عيني القاتل هل هي لمعة الانتصار ؟ أم الرعب ؟ أم السرور ؟ أم الذهول . ربما كانت إحداها . وسمع المفتش يقول :

– بعد ان نقف على جميع الحقائق ، وهذه نحصل عليها من الخدم بسهولة.

فقاطعه بوارو بقوله :

– لكن مسز كريستو ستعود إلى لندن .

– نعم فإن لها طفلين فلا مناص من ذهابها ، لكننا سنراقبها من حيث لا تدري .

وكانا خلال الحديث قد تحولا إلى الطريق المؤدي إلى فيلا ريستهافن فتوقف بوارو بجوار الباب فقال كرانج :

– أهذه فيلتك ؟ إنها بديعة ، من هم جيرانك في الجهة الثانية ؟

– مس فيرونيكا كراي الممثلة انها تأتي إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع .

– آه ! طبعاً ، فيلا دوفكوت .. انها ممثلة رائعـة .. والآن سأعود لاستئناف العمل .

* * *

وضع المفتش كرانج المسدس على المكتب أمام السير هنري وقال :

– أتعرف هذا المسدس ؟

– أيمكن ان أفحصه ؟

– لقد كان في قاع حمام السباحة ، ولقد أضاع الماء أي بصمات يمكن أن

تكون عليه انه سقط من مس سافرنيك في الماء مع الأسف .
– انك طبعاً تقدر الظروف فالنساء غالباً لا يحسن التحكم في أعصابهن .
فهز المفتش رأسه وقال :
– لكن مس سافرنيك تبدو رزينة قوية الأعصاب . أتعرف المسدس يا سيدي ؟

وأمسك سير هنرى بالمسدس وشرع يفحصه فاكتشف أن الرقم المدون عليه من أرقام الأسلحة التي يحتفظ بها .
فقال وهو يتنهد :
– نعم يا سيدي المفتش ان هذا المسدس من مجموعتي .
– متى رأيته لآخر مرة ؟
– بعد ظهر أمس كنا نتدرب على الرماية في الحديقة وكان هذا المسدس ضمن المجموعة التي كنا نتدرب عليها .
– من كان يتدرب عليه ؟
– أظننا جميعاً أطلقنا منه الرصاص .
– حتى مسز كريستو ؟
– نعم !
– وبعد التدريب على الرماية ماذا حدث ؟
– أعيدت الأسلحة الى مكانها هنا .

وأشار الى أحد أدراج مكتبه حيث رأى المفتش مجموعة كبيرة من الأسلحة فسأل :
هل تحتفظ بالأسلحة محشوة بالرصاص ؟
– كلا بالطبع .
– وأين تحتفظ بالرصاص ؟
فأخرج سير هنري مفتاحاً فتح به أحد أدراج مكتبه ثم قال :

ـ هنا !

وفكر المفتش كرانج ان الأمر في غاية السهـــولة ، ان مسز كريستو حصلت على السلاح من غرفة المكتب وبدافع الغيرة قتلت زوجها ، ان عليه ان يستكمل الحقائق في شارع هارلي حيث يقطن الطبيب .

ونهض وهو يقول :

ـ شكراً لك ، يا سيــر هنري !ـ سوف أخطرك بموعد جلسـة التحقيق .

- ٨ -

استيقظت ميدج فجأة في صباح الاثنين ، وبقيت مستلقية على فراشها تنظر إلى الباب كما لو كانت تنتظر أن تقتحم عليها الليدي انجكاتيل الغرفة . .

ترى ماذا كانت لوسي تقول حينما اقتحمت عليها غرفة نومها ذلك الصباح ؟

فقد كانت ترى أن عطلة نهاية الأسبوع ستكون مشكلة . . وكانت تتوقع حدوث أشياء

نعم . فقد وقع ما عكر صفو العطلة كما توقعت لوسي . .

حدث شيء يجثم على صدر ميدج كأنه الكابوس ، ولا تريد أبداً أن تتذكره . .

ولكن أسوأ ما في الأمر أنه حدث كما تصوره القصص البوليسية . وكان لها ولادوار ، ولوسي ، وهنري ، وهنريتا دور فيما حدث .

والكنهم جميعاً لا شأن لهم بما حدث ، إذا كانت جيردا هي التي أطلقت الرصاص على زوجها

ولكنها غبية ، ولا يمكن أن تقتل ذبابة ، واعتراها القلق لهذه الفكرة فمن يمكن أن يقتل جون ؟

لقد عثروا عليهـــا بقرب الجثة ، وهي لا تزال تمسك بالمسدس في يدهـــا ..

المسدس اسمي أخذته من مكتبة هنري .

لقد قالت انها لقيت زوجها ميتاً والمسدس بقربه ، فالتقطت المسدس ، ولكن هذا القول يحتاج إلى دليل .

وجميل من هنريتا أن تدافع عنها ، ولكنها لا تدري أن دفاعها يلقي ظلالاً من الشك على الباقين !.

مسكينة هنريتا ، فقد كانت تحب كريستو ..

وكانت شخصية كريستو القوية هي التي غطت عـلى شخصية ادوار وحجبتها .

وتحققت ميدج من صدق ظنونها حينما نزلت لتناول طعام الافطـار ، فقد وجدت شخصية إدوار – وقد تحرر من شخصية كريستو – قد ظهرت على حقيقتها وضاءت لطيفة .

وبدا لها انه واثقاً من نفسه وأقل تردداً ، وكان يتكلم مع دافيد قائلاً :

– يجب أن تزورني في أينزويك

– اني لا أحب هذه القصور التاريخية ، فقد فات وقتها ، ويجب أن توزع على الفلاحين الكادحين !

– إن فلاحي قوم بسطاء ، وهم يحبون معيشتهم .

وتدخلت الليدي انجكاتيل موجهة الحديث إلى دافيد .

– يجب أن نتبادل الحديث كثيراً يا دافيـــد ، لأعرف المزيد من آرائك الحديثة .. إني أفهمها في جملة واحدة هي :

انـه يجب على كل امرىء أن يكره كل امرىء آخر ، ومع ذلك يقدم له الدواء والخدمات المجانية !

ان لوسي لا تزال كما هي ..

ورئيس الخدم لا يزال أيضاً كما هو .

والحياة في قصر هولو لم تتغير ، بل عادت سيرتها الأولى بعد رحيل جيردا .

فقد مضت أحداث الأمس كأنها مجرد حلم .

وسمعت أصوات عجلات في الخارج ، لقد عاد السير هنري بعد أن دبر أمورا جيردا ، وبات ليلة في النادي ، وها هو يعود مع الصباح .

وسألته لوسي :

– هل سار كل شيء على ما يرام يا عزيزي ؟

– نعم .. فقد تولت سكرتيرة كريستو الأمور ، وهي سكرتيرة بارعة ، وقد علمت ان لجيردا شقيقة ، فاتصلت بها تليفونيا .

– آه ، هكذا كنت أظن .

واقترب الخادم من سيده وقال :

– لقد اتصل المفتش كرانج تليفونيا ، وقال أن التحقيق سيكون في الحادية عشرة من صباح الأربعاء .

فأومأ سير هنري برأسه .

وقالت الليدي انجكاتيل :

– ميدج ، ان عليك أن تتصلي بمحل عملك .

وسارت ميدج إلى التليفون .

كانت تعيش حياة عادية ، ولقيت أنه من الصعب أن تشرح الأمور لمدام الفاج – صاحبة المحل الذي تعمل فيه وهي سيدة صعبة المراس ، وليس من السهل إقناعها .

وأمسكت بسماعة التليفون ، واتصلت بمخدومتها ..

وكانت المناقشة كما توقعت أن تكون ، وسمعت صوت مدام الفاج

الحاد يقول :

- ماذا تقولين يا مس هاردكاسل ؟ جريمة قتل ؟ ألا تعلمين أننا نعاني نقصاً في الأيدي العاملة ؟ هل تظنين انني سأقتنع بهذه الأعذار ؟ الواقع انك تقضين أجازة طيبة ، ولا تحبين أن تقطعي اجازتك .

وفي هذه اللحظة فتح إدوار الباب ودخل .

لكنه حين وجدها تتحدث تليفونياً ، حاول أن يغادر الغرفة ، إلا أن ميدج استوقفته قائلة :

- ابق من فضلك يا إدوار اني أريدك بجانبي .

كان وجود إدوار حافزاً لها ومشجعاً . فأزاحت يدها عن سماعة التليفون . .

وكانت مدام الفاج تصيح بصوتها القبيح :

- أي نوع من الناس أصدقاؤك هؤلاء الذين يطلقون الرصاص على الناس ؟ انني أفكر جدياً في طردك من وظيفتك ، إنني حريصة على سمعة محلي !

وأبدت ميدج سعة صدر تحسد عليها .

وحينما أقنعت مخدومتها أخيراً وضعت السماعة ، وقد غمرها الشقاء !.

قالت لادوار :

- إنها مخدومتي ، كنت أعتذر لها عن عدم الحضور بسبب التحقيق والبوليس .

- أرجو أن تكون قد قدرت عذرك ، أي نوع من المحلات هذا الذي تعملين فيه ؟ وهل مخدومتك سيدة لطيفة مشجعة ؟

- ان اللطف هو آخر ما يمكن أن توصف به .

وقطب إدوار حاجبيه من فرط الدهشة !

فضحكت ميدج .

وقال إدوار :

– ولكن يا عزيزتي ، إذا كان ولا بد من عمل ، فإنه يجب أن يكون عملاً مريحاً مناسباً مع أناس معقولين .

ونظرت اليه ميدج برهة دون أن تجيب ، كيف تفسر الأمر لشخص مثل ادوار لا يعلم شيئاً عن الوظائف .

وفجأة شعرت بالمرارة : إن هناك حاجزاً ضخماً بينها وبين ادوار ولوسي وهنري ، وحتى هنريتا ..

إنهم قوم أثرياء ، وهي فتاة كادحة !

إنهم لا يعلمون شيئاً عن صعوبة الحصول على عمل والاحتفاظ به ، وقد يقولون لها انها ليست في حاجة إلى كسب قوتها ، وانه يسعدهم أن يقدموا لها العون المالي .

ولكن شيئاً في أعماق نفسها كان يتمرد على العيش عالة على أقاربها الأثرياء ..

إن قضاء عطلة نهاية الأسبوع في ترف الأقرباء شيء محبب ، ولكنها لا تقبل العيش عالة عليهم .

ونظر اليها إدوار في عطف وقال :

– هل أسأت اليك ؟

ودخلت لوسي الحجرة ، وكانت كعادتها قد أدارت المشكلة في رأسها ، وناقشتها ثم قالت .

– لست أدري ، هل يفضل البقاء هنا ، أم تقيم في فندق القلب الأبيض .

والقت عليها ميدج نظرة جوفاء .

بينما استطردت هي :

ـ لا فائدة من سؤال إدوار عن رأيه ، أما أنت يا ميدج فإنك دائماً ذات أفكار عملية .

ـ إنني لا أدري عم تتحدثين .

ـ إنني اتحدث عن التحقيق يا عزيزتي ، إن جيردا لا بد أن تحضر التحقيق ، فهل تقيمين هنا . أم في فندق القلب الأبيض ؟ إن اقامتها هنا صعبة ، ولكن الناس سيجعلون حياتها أصعب إذا هي أقامت في الفندق .

- ٩ -

كان هيركيول بوارو يحتسي قدحاً من الشيكولاته وكان الوقت ظهراً حين دق جرس التليفون وسمع صوتاً يقول :

- مسيو بوارو ؟

- نعم يا ليدي انجكاتيل .

- اليس غريباً أن تعرف صوتي ، هل أزعجتك ؟

- كلا أتمنى ألا تكون أحداث الأمس قد أزعجتك .

- لقد أزعجتني فعلاً ، هل يمكنك أن تتفضل بزيارتنا ؟ الواقع إنني قلقة جداً .

- هل تريدينني الآن ؟

- نعم الآن إذا سمحت .

- حسناً سآتي بطريق الغابة

- هذا أفضل لأنه أقصر الطرق شكراً لك .

وارتدى بوارو ملابسه بسرعة وغادر المنزل واتخذ طريق الغابة ووجد حمام السباحة مهجوراً فقد فرغ رجال البوليس من عملهم وغادروا المكان فبدا بريئاً صافياً .

والقى نظرة سريعة على الاستراحة فوجد أن معطف الفراء قد اختفى

لكن علب الكبريت الست بقيت في مكانها فزاد عجبه لوجودها : فلا شك ان هذا ليس مكاناً لحفظ الكبريت وعلبة واحدة تكفي .

وغادر بوارو الاستراحة في طريقه إلى قصر هولو وهو يعجب ترى ما هو السبب في استدعائه هكذا على وجه السرعة ؟

وكانت ليدي انجكاتيل في انتظاره ، فقادته إلى حجرة الجلوس الخالية وهي تقول :

– جميل منك أن تلبي دعوتي .

– إنني في خدمتك يا سيدتي الليدي .

– إنها مشكلة صعبة فالمفتش يستجوب رئيس الخدم وحياتنا جميعاً تعتمد على حضوره ، ولذلك فنحن جميعاً نعطف عليه فهذه هي المرة الأولى التي يقابل فيها أفراد البوليس .

أنا شخصياً لا أهتم بأفراد البوليس ، بل إني القى بعد المتعة في تتبع أعمالهم وقد طلبت من المفتش كرانج أن لا يتأخر في طلب المساعدة مني ، إنه يبدو إنساناً مرتبكاً لكنه يؤدي عمله خير أداء .

وصمتت برهة ثم تابعت :

– إن أفراد البوليس يهتمون بالقرائن ، فإذا عدنا إلى الماضي لرأينا أنه ربما كان لجون كريستو ممرضة حسناء وإن لهذه الممرضة ضلعاً في مصرعه ! إني أعجب كيف واجهت جيردا المسكينة ظروفها الجديدة لقد كانت من النوع المتفاني في الإخلاص تصدق كل ما يقوله لها زوجها والواقع أن هذا هو الاتجاه الصحيح للمرء إذا كان ناقص الذكاء

وفجأة فتحت ليدي انجكاتيل باب غرفة المكتب وأشارت لبوارو بالدخول وهي تقول :

– هوذا مسيو بوارو

وكان المفتش كرانج جالساً الى المكتب يستجوب رئيس الخدم وأحد الشبان

يسجل أقواله ونهض الخادم في احترام .

فقال بوارو بسرعة :

- إني آسف أيها السادة فلم يكن في ذهني حين أدخلتني ليدي انجكاتيل إلى هنا إني سأجدكم .

فقال المفتش :

- لا بأس يا مسيو بوارو تفضل بالجلوس .

وتحول إلى الخادم الذي جلس بعد إلحاح ونظر إلى المفتش بوجه لا تعبير فيه . وعاد المفتش يسأله :

- أهذا كل ما تتذكره ؟

- نعم يا سيدي .

- ومن هي صاحبة الفراء الذي عثرنا به في الاستراحة ؟

- تعني معطف الفراء ؟ لقد لاحظت وجوده أمس يا سيدي ، حينما أحضرت كؤوس الكوكتيل إلى الاستراحة ، ولكنه ليس لأحد من أفراد المنزل .

- لمن هو إذن ؟

- ربما كان ملكاً لمس كراي يا سيدي ، مس فيرونيكا كراي ممثلة السينما فقد كانت ترتدي شيئاً مثله .

- متى ؟

- حينما زارت المكان في الليلة السابقة للحادث .

- هل كانت من الضيوف ؟

- كلا إنها تقطن فيلا دوفكوت وقد حضرت عقب العشاء لتحصل على بعض الكبريت .

وسأل بوارو :

- هل أعطيتموها ست علب من الكبريت ؟

– نعم يا سيدي ، فقـد طلبت الليدي انجكاتيل ، أن نعطيها ست علب

– وهي العلب التي تركتها في الاستراحة ؟

– نعم يا سيدي فقد لاحظت أنها تركتها هناك ، حين دخلت الاستراحة في صباح اليوم التالي .

وحين غادر رئيس الخدم الحجرة قال بوارو :

– إن هذا الرجل سريع الملاحظة لا يفوته شيء .

– إنه شيطان . لكننا نعرف كيف نستخرج الحقائق من صغار الخدم ، أما كبارهم فإنهم قلما يتكلمون . وعلى فكرة لقد أرسلت أحـــد رجالي إلى شارع هارلي وسأزور المكان بعد ظهر اليوم بنفسي . ولا شك اننا سنحصل على بعض المعلومات هناك . لقد قالت الليدي انجكاتيل انه كان هنـاك نوع من الـنزاع بخصوص ممرضة تعمـل لدى الطبيب ، ولكنهـا كانت غامضة .

– نعم ، لقد كانت غامضة !

وفكر بوارو :

لقد رسمت الليدي انجكاتيل صورة رائعة لما يمكن أن يحدث في عيادة طبيب مشهور : مرضى جميلات ممرضة جميلة .. ومجال للغيرة لا شك فيه ، إنتهى بقتله . نعم لقد اخترعت الصورة المغرية عن عمد لإبعاد الأنظار عن قصر هولو حيث تقدمت هنريتا سافرنيك من جيردا المرتبكة وأخذت منها المسدس ورمته في الماء ، لإبعاد الأنظار عن الحقيقة الغريبة وهي أن الميت كان يقول : هنريتا .

وتنبه بوارو إلى ان المفتش كان يتحدث :

– ما رأيك في مس كراي ، فقد انتحلت عـذراً لتقتحم على آل انجكاتيل قصرهم

– ربما كانت لديها بعض الأسباب ربما أردت التعرف عليهم ، فهم قوم أثرياء لهم مركزهم .

– نعم ، ربما . ومع ذلك فإنني لن أترك أي شيء لمجرد التخمينات . هل تعلم أن سير هنري قد تعرف على المسدس ؟ إنه من مجموعة السلاح التي يملكها . كان كل ما على مسز كريستو هو أن تذهب إلى غرفة المكتب وتأخذ المسدس مسألة بسيطة .

– نعم انها تبدو بهذه البساطة .

نعم إن امرأة أمضتها الغيرة قد تسلك هذا السبيل ، ولكن .. أليس عليها في هذه الحالة أن تحمي نفسها من شبهة القتل ؟ أم انها كانت مدفوعة بعاطفة عمياء لا تدع للعقل مجالاً في تصرفاتها ؟

وتذكر نظرتها الجوفاء وقال لنفسه :

« حقاً إني لا أعلم لماذا ، ولكني سوف أعلم ! »

* * *

خلعت جيردا كريستو الثوب الأسود ، وتركته يسقط على أحد المقاعد وهي تقول :

– إني لا أعلم لم أعد أهتم بشيء .

فقالت مسز باترسون في عطف :

– إني أدرك كل شيء يا عزيزتي .

لقد كانت مسز باترسون ، أو ايلزي كما يطلقون عليها ، تعرف كيف تتصرف في الملمات ، وها هي الآن تمارس مقدرتها في أختها جيردا . كانت ايلزي طويلة القامة جمة النشاط ، وكانت تنظر إلى أختها في قلق ممزوج بالشفقة

البالغة وتقول لنفسها :

لقد فقدت جيردا المسكينة زوجها ، وهي حتى الان لم تر الكارثة على حقيقتها . لقد كانت جيردا دائماً بطيئة ، فما بالك إذا اقترن البطء بالصدمة ؟

كانت جيردا دائماً بحاجة إلى من يفكر لها في الأمور ، فوقفت جيردا جامدة حائرة وهي تقول :

– لست أعلم إن كان جون يحب أن يلبس الحداد عليه ، لقد سمعته مرة يقول إنه يكره الحداد .

آه ! لو كان جون حاضراً ، إذن لدلها على التصرف الصحيح ، ولكنه ذهب إلى الأبد ، انها لن تقع في حيرة بعد الان بشأن اللحم البارد ، ولن تسمع صوته وهو يغلق باب حجرة الفحص في عنف ، ولن تراه بعد الان يصعد الى مسكنه قفزاً . لقد كان مثالاً للحيوية ..

ودقت بريل كولينز باب حجرة النوم وقالت :

– قد وصل المفتش كرانج ..

وشهقت جيردا بينما تابعت بريل تقول بسرعة :

– قال انه لن يزعجك ، انه يريد معلومات عن دكتور كريستو وسأقوم أنا بالرد عنك .

– شكراً لك

وانسحبت بريل فتنهدت جيردا وقالت :

– إن بريل فتاة مدهشة انها تعلم كيف تتصرف .

وفي حجرة الجلوس كان المفتش كرانج يواجه بريل بنظراتها الثاقبة ونبراتها الهادئة . وحين لاحظ انها ليست جميلة علم على الفور انه لن يجد قصة حب بين الطبيب وسكرتيرته .

كانت إجابات بريل في غاية الوضوح ، فهي تجيب على الفور ، وتبدو

عالمة تمام العلم بأحوال الطبيب وعاداته ، وغير المفتش موضوع الحديث ، وحاول أن يعرف شيئاً عن علاقة الطبيب الراحل بزوجته ، فقالت بريل إنها كانت علاقات طيبة .

فعاد المفتش يسأل :

– ألم تحدث بينهما خلافات كتلك التي تحدث بين الأزواج ؟

– إني لا أتذكر خلافاً واحداً ، لقد كانت مسز كريستو مثالاً للزوجة المطيعة فقد كانت تعبده .

ولاحظ المفتش نبرة الاحتقار في صوتها وسأل :

– ألم تدافع عن رأيها مرة واحدة ؟

– كلا . كانت تأخذ آراء الدكتور كريستو قضية مسلمة .

– كان ديكتاتوراً إذن ؟

– كلا ، إنه لم يكن ديكتاتوراً . ولكنه كان شخصاً أنانياً . فقد كان يعلم أن زوجته سوف توافق على جميع آرائه .

– ألم تكن هناك مشاكل خاصة بالمرضى .. مشاكل نسائية ؟

– لا أعرف مشكلة من هذا النوع، فقد كان الدكتور كريستو طبيباً ماهراً وكانت له طريقته الخاصة في معاملة النساء .

– ألم تكن له علاقة باحدى النساء ؟

– لا علم لي بذلك .

– وماذا عن هنريتا سافرنيك ؟

– كانت صديقة للعائلة .

– ألم يحدث شجار بين الزوجين بشأنها ؟

– كلا .

– وماذا عن مس فيرونيكا كراي ؟

– فيرونيكا كراي ؟

– ألم تكن صديقة الدكتور كريستو ؟
– إني لم أسمع إسمها من قبل ، لكن يبدو انه . .
– انها ممثلة السينما .
– آه طبعاً ، ولكني لا أعلم ان الدكتور كريستو كان يعرفها .

ولم يخرج المفتش كرانج من تحقيقه بنتيجة لقد كان يأمل أن يجد الدافع على القتل ، فإن عليه ان يجد الدافع قبل أن يقدم القضية المحكمة لقد كان واثقاً من ان جيردا كريستو قد أطلقت الرصاص على زوجها وكان موقناً ان الدافع هو الغيرة ولكنه لم يجد للغيرة مكاناً في حياة الزوجين . وكان مساعده السرجنت كومبس يحاول ان يستخرج الحقائق من الخدم ولكنهم جميعاً رووا له نفس القصة . كانت مسز كريستو تعبد زوجها وتقدسه . وتأكد المفتش أنه إذا كان ثمة دافع ، فعليه أن يبحث عن هذا الدافع في قصر هولو .

ودق جرس التليفون ، فالتقطت مس كولينز السماعة ، ولم تلبث أن قدمتها المفتش قائلة :

– إن المكالمة لك يا سيدي المفتش
– آلو ، نعم أنا المفتش كرانج ، ماذا ؟

ولاحظت مس كولينز أنه نطق الكلمة الأخيرة بصوت غير عادي ، فنظرت إلى قسمات وجهه لعلها تعرف جلية الخبر ، لكنه كان وجهاً جامداً لا ينم عن شيء . . وتابع المفتش :

– نعم ، فهمت . . هل أنت متأكد ؟ إذن سأكون لديكم ، لقد فرغت من مهمتي هنا

وحين انتهى من حديثه التليفوني ظل برهة جامداً ، وعندما تكلم كان صوته غريباً ، قال

– أليس لك رأي خاص يا مس كولينز فيما حدث ؟

– تعني ..

– أعني هل لديك فكرة عمن قتل دكتور كريستو ؟

– ليست لدي أية فكرة على الإطلاق يا سيدي المفتش .

فقال ببطء :

– حينما اكتشفت الجثة ، كانت مسز كريستو واقفة بجوارها تحمل مسدساً ..

ولم يكمل جملته عمداً ، لكن مس كولينز أجابت في ثبات :

– إذا كنت تعتقد ان مسز كريستو قتلت زوجها ، فأنا متأكدة انك لست على صواب . فمسز كريستو إمرأة لا تعرف العنف ، وكانت مطيعة خاضعة لزوجها ، فمن الخطل أن يظن الانسان لحظة انها يمكن أن تقتل من كانت تعبده وتتفانى في خدمته . مهما كانت القرائن والملابسات تبدو ضدها .

– إذا لم تكن هي التي قتلته ، فمن قتله ؟

– لست أدري ؟

* * *

حملق سير هنري في المفتش كرانج وقال في دهشة :

– إنني لا أفهم ماذا تعني يا سيدي المفتش ؟

– إن ما أعنيه في غاية البساطة يا سير هنري ، إني أطلب اليك أن تفحص مرة ثانية مجموعة الأسلحة التي تملكها ، ولا شك انك تحتفظ بسجل خاص بها .

– طبعاً ، ولكني قررت من قبل ان المسدس الذي وجد مع الجثة كان من مجموعتي .

إن الأمر ليس بهذه البساطة ،فإن دكتور كريستو لم يقتل بالمسدس الذي تعرفت عليه هذا الصباح .

ورفع سير هنري حاجبيه وقال

- عجباً .. لكن هل لديك من الأسباب ما يدعوك إلى الاعتقاد بأن الرصاصة القاتلة أتت من أحد الأسلحة التي في حوزتي ؟

- ليس هناك سبب ولكن يجب أن أتأكد .

- انك على حق ..

وفتح أحد أدراج مكتبه ، وأخرج مجلداً أنيقاً وقلب صفحاته ، وهو يقول :

- إن الأمر سيستغرق بعض الوقت ..

واسترعت لهجته انتباه المفتش ، فألقى عليه نظرة فاحصة ، فاذا به قد تقوست كتفاه ، وبدا رجلا عجوزاً متعبا .

وقطب المفتش حاجبيه ، وقال لنفسه .

« إني لا أفهم هؤلاء الناس ، ولن أفهمهم أبداً »

وسمع حركة صادرة عن سير هنري فاستدار اليه وقال :

- نعم يا سيدي ؟

- هناك مسدس من عيار ٣٨ مفقود ،لقد كان في جراب بني وكان موضوعاً في هذا الدرج .

- ومتى يا سيدي رأيت السلاح في مكانه لآخر مرة .

- ليس من السهل ان يعرف الانسان يا سيدي المفتش اني فتحت هذا الدرج منذ أسبوع وأظن ان المسدس كان هناك .

- شكراً لك يا سيدي يجب إذن ان أستكمل تحرياتي .

وترك المفتش الغرفة وجلس هنري برهة جامداً ، ثم نهض وخرج إلى الشرفة فوجد زوجته تحمل سلة أزهار وترتدي قفازاً وكانت تشذب بعض

الأزهار ، فلوحت له بيدها وقالت في انشراح :

– ماذا كان المفتش يريد ؟ أتمنى ألا يزعج الخدم مرة أخرى إنهم لا يهتمون بالبوليس كما نفعل .

– وهل نهتم نحن أيضاً بالبوليس ؟

وأثارت لهجته انتباهها ، فابتسمت له وقالت :

– انك تبدو متعباً يا هنري ، يجب ألا تدع هـذا الحادث يزعجك الى هذا الحـد .

فقال هنري :

– يخيل الي ان الأمر سيكون أكثر إزعاجاً مما نتصور جميعاً

- ١٠ -

أطل بوارو من نافذة الفيـلا فرأى هنريتا سافرنيك تعبر الحديقـة ، في طريقها الى الباب الأمامي وكانت ترتدي نفس التايير الأخضر الذي كانت ترتديه يوم الفاجعة ، وكان معهـا كلب صغير . وأسرع بوارو يستقبلها بالباب .

وبعد أن حيته قالت وهي تبتسم :

– هـل تسمح لي ، بمشاهـدة منزلك ؟ اني مغرمـة بمشاهدة بيـوت الآخرين .

– مرحباً تفضلي بالدخول !

وقادها بوارو الى غرفة الجلوس ، فألقت نظرة شاملة على الحجرة ، ثم قالت :

– كل شيء هنا بديع ومرتب ، لا شك انك ستكره الاستوديو الذي أعمل به اذا رأيته .

– ولماذا ؟

– انك ستجد كل شيء مغطى بطبقة من الصلصال ، فضـلا عن عدم ترتيبه .

– ولكني أقدر هذا ، فأنت فنانة .

– الست انت فناناً يا مسيو بوارو ؟

– انها وجهة نظر ، فقد رأيت جرائم يمكن ان أسميها فنية . أمثلة رائعة لمدى سعة التفكير ، ولكن حل الجرائم لا يحتاج الى القوى الإبداعيـة في الانسان بقدر ما يحتاج الى رغبة قوية في الوصول الى الحقيقة .

– رغبة قوية في الوصول الى الحقيقة. انيأفهم ما تعني، لكن هل تكتفي بمجرد الحقيقة ؟

ونظر اليها في استطلاع ثم قال :

– ماذا تعنين ؟

– اني أفهم رغبتك في معرفة الحقيقة ، لكن هل تكفي الحقيقة ؟ أعني هل تدفعك الحقيقة الى نشاط من نوع معين ؟

– أنت تقصدين انه اذا فرض ان عرفت الحقائق الخاصة بمصرع دكتور كريستو مثلاً ، هل أحتفظ بالمعلومات لنفسي ؟ فهل تعلمين الحقائق الخاصة بمصرعه !

فهزت هنريتا كتفيها وقالت

– الحقيقة الظاهرية تقول انها جيردا ، فنحن دائماً نميل الى اتهام الزوجة بقتل زوجها .

– هل توافقين على هذا الاتهام !

– اني أحب أن تنظر الى المسألة نظرة أعمق .

وسألها بوارو في هدوء

لماذا تكرمت علي بالزيارة يا مس سافرنيك !

– الواقع اني لا أبحث عن الحقيقة مثلك ، وقد رأيت أن نزهة مع هذا الكلب من التقاليد الانجليزية الجميلة ، ولكن آل انجكاتيل لا يملكون كلباً ، وربما لاحظت ذلك بنفسك .

– نعم . قد لاحظت ذلك

– وهكذا فقد اقترضت كلب البستاني .. اني في الحقيقـــة لا أنزع الى الصدق كثيراً !

وعادت الابتسامة الوضاءة الى وجهها ، و كان رأى بوارو انها ابتسامة لا تقاوم .

فقال بهدوء :

– ان لك شخصية قوية .

– ما الذي جعلك تعتقد هذا ! .

– انها الحقيقة .

وهزها استنتاجه الأخير فجلست برهة جامدة ، تحدق في السجادة تحت قدميها ، ثم رفعت بصرها وسددته اليه .

وقالت بثبات :

– ألا تحب ان تعلم لماذا حضرت !

– ربما وجدت صعوبة في التصريح .

– نعم هذا صحيح . ان التحقيق سيجري غداً ، وعلى الانسان ان يقرر الى أي مدى ..

وتوقفت عن الحديث ثم نهضت وتوجهت الى المدفأة ، وبدأت تعيد ترتيب التحف الموجودة على رف المدفـــأة ، وتقهقرت خطوتين لتلقي نظرة على الترتيب الجديد .

ثم أعـادت كل شيء الى مكانه بسرعة ، ثم عادت الى مقعـدها ، وقالت :

– اذا كان على الانسان ان يدلي بشيء فلا مناص من ان يدلي به ويبدو لي انك الشخص الذي يمكن ان يثق به الانسان ..

هل ترى انه من الضروري ان يعلم البوليس اني كنت عشيقة جون كريستو !

وكانت تدلي بهذه الحقيقة في نبرات عـادية ، ولم تكن تنظر اليـه ، وانما الى الفراغ الكائن فوق رأسه . وقد رد عليهـا بوارو بنفس النبرات الهادئـة :

– اذن فقد كنتما متحابين !

– إذا كنت تفضل هذا التعبير .

ثم انتقلت لتجلس بجانبه وقالت :

– من الأفضل أن يسمي الانسان الأشياء بأسمائها .

– والى متى استمرت هذه العلاقة ؟

لمدة ستة أشهر

إن البوليس لن يجد صعوبة في الوصول إلى الحقيقة .

– نعم لا شك انه سيفعل ، ومـاذا تقترح علي : هل أذهب إلى المفتش كرانج وأخبره بكل شيء ؟ وإذا عـلم البوليس العلاقة بيني وبين الطبيب القتيل ، فهل يذيع أمرها ؟

– هذا يتوقف على مدى أهمية هذه العلاقة بالنسبة للحادث، إنك فيما أرى حريصة على سرية هذه العلاقة .

فأومأت هنريتا برأسها ، وحدقت في أصابعهـا برهة ، وفجأة رفعت رأسها وقالت :

– لماذا ينزعون إلى تسويء الأمور أكثر مما هي سيئـــة أمام جيردا ؟ فقد كانت تعبد جون ، ولكن جون قد مات ، لقد فقدته ، فلماذا نصيبها بجرح جديد ؟

– أنت إذن تحرصين على شعورها ؟

– أنت تظنني منافقة ، أنت تقول : إذا كنت تهتمـين بشعور جيردا إلى هذا الحد ، فلماذا سمحت لنفسك أن تصبحي عشيقة زوجها .. إن الأمر ليس بهذه الصـورة .. إنني لم أكن أنوي ان أحطمْ حياته الزوجيـة .. فقد كنت

واحدة ضمن موكب طويل !

إنني أكره أن يتصور الناس جون على انه زير نساء . إن هذا هو السبب في أني أتيت أتحدث اليك ، فقد كنت آمل أن أجعلك تفهم أي نوع من الأشخاص كان جون . إني أتصور الآن ما ستحدثه هـذه المعلومات من ضجة في الصحف والواقع أن جون لم يكن يأبه كثـيراً بالنساء ، فقد كان اهتمامه مركزاً في عمله ، وإذا كان قد قدر لك أن تسأله ، في حياته ، عن المرأة التي تركت أثراً واضحاً في حياته ، لقال لك على الفور إنها مسز كرابتري .

قال بوارو في دهشة :

– مسز كرابتري ؟ من هي ؟

– إنها عجوز قبيحـــة فقيرة ، ولكنها كانت تستحوذ على تفكير جون . إنها مجرد مريضة في مستشفى سانت كريستوفر ، كانت مصابـة بمرض لا علاج له ، ولكن جون كان يبحث له عن علاج . وكان يجري تجاربه على مسز كرابتري .. هذا هو العمل الذي كرس حياته من أجله ، ولم تكن أعماله في عيادته بشارع هارلي تهمه في كثير أو قليل .. آه لو أستطيع أن أقنعك بوجهة نظري ..

ومدت يديها في الهواء بحركة يائسة ، ولكن بوارو كان يرى الحركة جميلة رغم كل شيء ! وأخيراً قال :

– يبدو انك كنت تفهمينه حق الفهم .

– نعم ، كان جون يزورني ليتحدث ، لا إلي بل إلى نفسه . كان يحضر يائساً ، وبعد حديث طويل يجد المخرج .

وصمتت برهة كأنما هي تعود بذاكرتها إلى الماضي ..

فقال بوارو :

– وهل كانت فيرونيكا كراي أيضاً صديقة لجون كريستو ؟

– إنه لم يكن قـد رآها منذ خمسة عشر عاماً . قـد كانا خطيبين ، وكان مدلهاً بحبها ، ولكنها كانت أنانية وكانت تريـــده أن يترك عمله ليتزوجها ولكن جون لم يرض ، وفسخ الخطوبة . وكان يرغب في أن يتزوج إمرأة على نقيض فيرونيكا ، وهكذا تزوج جيردا ، وكان هذا عملاً يضمن له السلامة . .

ولكن بمضي الوقت سئمها وبحث عن نســـاء أخريات ، ولكنها كانت علاقات عابرة ولم تعلم عنها جيردا شيئاً . ولكن رغم كل هذا أظن أن جون كان يقاسي شيئاً يختص بفيرونيكا ، فلم يكن قد تغلب أبداً على حبها . وفجأة تقابل معها يوم السبت الماضي .

وبعد برهة صمت قال بوارو :

– وخرج معها تلك الليلة ليرى بيتها ، وعـــاد إلى قصر (هولو) في الثالثة صباحاً .

– كيف علمت ؟

– هذا سر المهنة ، ولكنك أيضاً كنت تعلمين .

– نعم .

– كيف علمت ؟

– كنت أطل من نافذة غرفة نومي ورأيته عائداً إلى القصر

ونهضت من مقعدها واتجهت إلى الباب . .

قال بوارو :

– سأرافقك في طريق العودة .

واخترقا الحديقة ثم اتخذا طريق الغابة ، وفي أعلى التل وجدا مقعـــداً فجلسا جنباً إلى جنب وكانت الغابة خلفهما وأمامهما مباشرة ممر متعرج يهبط إلى حيث بدت مياه حمام السباحة الزرقاء من وراء الأشجار ، وكان بوارو يراقب هنريتا في صمت ، كان وجهها هادئاً فقد مرت الأزمة . .

وأخيراً قال :

– هل كانت خالتك تميل إلى جون ؟

– إن لوسي إبنة عمي وليست خالتي ، نعم كانت تميل اليه .

– وابن عمك ادوار هل كان يميل اليه ؟

– إنه لم يعرفه حق المعرفة .

– وابن عمك الآخر دافيد ، هل كان يميل اليه ؟

– إن دافيد يكرهنا جميعاً ، إنه يمضي وقته بين جدران المكتبة يقرأ دائرة المعارف البريطانية .

- ١١ -

غادرت هنريتا المكان غاضبة ، وبقي بوارو في موضعه برهة ثم رأى المفتش كرانج يسير في اتجاه حمام السباحة ، ثم يعرج على الاستراحة ويتخذ للطريق الذي يوصل إلى ريستهافن وفيلا دوفكوت .

فعاد بوارو أدراجه إلى ريستهافن ..

فلربما كان المفتش يقصده .

وحينما وصل إلى هناك لم يجد المفتش ، فرجح انه ذهب إلى فيلادوفكوت ليرى فيرونيكا كراي .

وفجأة اتجه ذهنه إلى فيرونيكا كراي .

وزاد فضوله وجود معطف الفراء وعلبة الكبريت في الاستراحة ، واقتحامها لسهرة آل انجكاتيل على تلك الطريقة المسرحية .. وعلاقاتها هي وهنريتا بالقتيل .

وأدهش بوارو الصراع الواضح بين العواطف والشخصيات في هذه القضية الغامضة .

فهل أطلقت جيردا كريستو الرصاص على زوجها ، أم أن الأمر ليس بهذه السهولة ؟

وعاد بذاكرته إلى حديثه مع هنريتا ، فلم يتمالك أن أيقن أن الأمر ليس

من السهولة في شيء .

لقد ظنت هنريتا أنه يتهمها بالقتل ، وإنما في ذهنه لم يكن قد وصل إلى هذا الحد ، وإنما كان على يقين من انها تعرف شيئاً ، أو تخفي شيئاً ، فما هو ؟

* * *

لم تكن فيرونيكا كراي كما توقع المفتش كرانج أن يجدها .

لقد كان ينتظر أن يرى غانية تجيد فن التمثيل ، حتى في حياتها الخاصة ..

نعم لقد كانت تمثل ، وانما لم يكن الدور الذي ينتظره ، إنها لم تحاول أن تبرز مفاتنها كامرأة :

قالت فيرونيكا ببساطة

- سأبذل جهدي يا سيدي المفتش لأعاونكم .

- شكراً لك ، والآن ، هل زرت قصر هولو في مساء يوم السبت ؟

- نعم ، فلم يكن لدي ثقاب .

- ومن ثم عبرت هذه المسافة الطويلة إلى قصر هولو ؟ لماذا لم تلجئي إلى جارك مسيو بوارو ؟

فابتسمت ابتسامة ساحرة تصلح للكاميرا ، وقالت

- لم أكن أعرف شخصية جاري ، وإلا لكنت حرية أن ألجأ اليه ، لقد كنت أظنه مجرد رجل أجنبي ، ومن ثم خشيت أن أزعجه

- لقد حصلت على الثقاب ، وتعرفت هناك على صديق قديم هو الدكتور جون كريستو ، اليس كذلك ؟

– نعم ، لم أكن قد رأيت كريستو المسكين منذ خمسة عشر عاماً
– هل سررت لرؤياه ؟
– كثيراً . ألا ترى ان عثور الانسان على صديق قديم يسره ؟
– نعم ..
– وقد رافقني كريستو في طريق العودة إلى الفيلا ، وربما أردت أن تلم بطرف من الحديث لفائدة التحقيق ، وقد فكرت في هذا ، غير اني لم أجد فيه ما يمكن أن يفيد .
– عم دار الحديث يا مس كراي ؟
– تحدثنا عن الأيام الماضية والواقع أن جون تغير قليلاً ، فقد كبر وأصبح طبيباً مشهوراً ، ولم يتحدث عن حياته الخاصة ، ولكني استنتجت ان حياته الزوجية في غاية السعادة ، وإن إمرأته من طراز النساء الغيورات المعدومات الشخصية ، اللاتي يتشاجرن مع أزواجهن بسبب المرضى الجميلات .
– كلا ، إنها لا تبدو كذلك
– تعني انها تظهر غير ما تبطن ؟ ان هذا لأخطر وأعظم شأناً ؟
– إذن .. فأنت تعتقدين انها هي التي أطلقت الرصاص على زوجها ؟
– اني لم أقل هذا فليس على المرء أن يسبق حكم القضاء .. انني آسفة يا سيدي المفتش ، ولكن خادمتي قالت ان امرأته وجدت واقفة بجوار الجثة والمسدس لا يزال في يدها ، وأنت تعرف كيف تنتشر الأخبار في الريف بسهولة عن طريق الخدم .
– إن الخدم يفيدون أحياناً يا مس كراي .
– نعم : وأعتقد انكم تحصلون على معلومات كثيرة عن طريقهم .
– المسألة أولاً مسألة الدافع .

– وفي هذه الحالة تكون الزوجة هي المتهم الأول .. ولكن هنـاك دائماً ما تسمونه « المرأة الأخرى » ، وأنتم تعتقدون دائماً أن لديها أيضاً الدافع ..

– هل تظنين أنه كان في حياة الدكتور كريستو إمرأة أخرى !

– لقد فهمت من حديثه أنه على علاقة بتلك المسألة ، ولكنني أعتقد أنكم على علم بهذا !

فأومأ المفتش برأسه !

ولم تفته لمحة سريعة في عينيها النجلاوين تدل على التشفي .. والارتياح ولكنه تظاهر بأنه لم ير شيئاً .

واستأنف كلامه قائلا :

– متى غادرك الدكتور كريستو في تلك الليلة ؟

– أتعلم اني لا أتذكر ! لا بد أنه عاد في وقت متأخر

– هل كان هنا ؟

– نعم ، فقد قدمت له قدحاً من الشراب .

– آه ، كنت أظن أن اللقاء تم في الاستراحة المجاورة لحمام السباحة .

ولمح رجفة سريعة في جفنيها .

ولكنها أسرعت تقول

– إنك مخبر بوليس ماهر ، نعم .. لقد جلسنا هناك بعض الوقت . كيف عرفت ؟

– لقد نسيت فراءك هناك يا مس كراي .. وكذلك الثقاب !

– آه نعم ... طبعاً طبعاً !

– وقد عاد الدكتور كريستو من عندك .. في الثالثة بعد منتصف الليل !.

– هل كان الوقت متأخراً إلى هذا الحد ؟

– نعم يا مس كراى .
– الواقع تحدثنا طويلاً ، فلم نتقابل منذ خمسة عشر عاماً . .
– هل أنت واثقة من هذه المدة ؟ اني أعتقد انك رأيتـــه مراراً قبل ذلك ؟

– ماذا تعني ؟
– حسناً ، إن هذه المذكرة مثلا . .
وأخرج قصاصة من جيبه ، وتنحنح .
ثم قرأ :
« أرجو أن تزورني هذا الصباح ، فلا بد أن آراك »
« فيرونيكا »

ولقد زارك دكتور كريستو في صباح اليوم التـالي تلبية لهذه الدعوة وتشاجرتما . . فهــل يمكن ، يا سيدتي ، ان تروى لي شيئاً من هــذه المشاجرة ؟
لقد القى المفتش القفاز ، ولاحظ بريق الغضب في عينيهــا ، وضيق الخلق تعبر عنه الشفتان المزمومتان .

والإجابة الغاضبة السريعة :
– إننا لم نتشاجر .
– بل تشاجرتما يا مس كراي ، وكانت كلماتك الأخيرة له هي . « أعتقد اني أكرهك كما لم أكره أي إنسان من قبل » .
وصمت !

وبدا عليها أنها تفكر بسرعة .
ولو كانت إمرأة أخرى غير فيرونيكا لاندفعت تكذب وتبرر ، ولكن فيرونيكا كانت ذكية . .
فقد هزت كتفيها وقالت ببساطة :

- هذا مزيد من قصص الخدم ، وخادمتي خصبة الخيال . لكل أمرىء طريقته في التعبير عن غضبه يا سيدي المفتش ، ولكنني لم أعني شيئاً خاصاً حين قلت له هذه الجملة . واؤكد لك انني لم اكن قد رأيته منذ خمسة عشر عاماً ، ويمكنك أن تثق من هذه الحقيقة بنفسك .

وعادت هادئة واثقة من نفسها !

ولم يحاول كرانج أن يناقش ..

بل نهض واقفاً وقال :

- شكراً لك يا مس كراي .

وغادر فيلا دوفكوت . واتجه إلى ريستهافن .

* * *

حدق بوارو في المفتش في دهشة .

ثم قال :

- تقول ان المسدس الذي كان في يد جيردا ، والذي اسقطته هنريتا في الماء ، لم يكن المسدس الذي ارتكبت به الجريمة ؟ هذا عجيب !

- نعم عجيب ، ولا أجد له تفسيراً .

- ولكن يجب أن نفسره .

- الواقع اننا لن نتقدم في هذه القضية ، إلا إذا عثرنا على سلاح الجريمة ، وهو من مجموعة السير هنري ، هذا أمر لا شك فيه ، فإن إحدى قطع السلاح مفقودة ، ومعنى هذا ان القضية ذات علاقة بقصر هولو ، لقد كانت

تبدو قضية بسيطة ، ولكن ..

وراح المفتش يذرع الغرفة ..

وفجأة وقف أمام بوارو وقال :

– لقد حضرت اليوم لزيارتك لسببين : أولاً لأنك رجل معروف لنـا بخبرتك وأعمالك العظيمة في هذا الميدان ، وثانياً : لأنك كنت شاهد عيان للجريمة .. لقد شاهدتها ترتكب .

– نعم ، لقد شاهدتها ترتكب ، ولكن العين يا سيدي المفتش ، شاهد لا يعتمد عليه !

– ماذا تعني ؟

– أعني أن العين ترى ما يراد لها أن تراه .

– تعني أن الأمر كان مدبراً .

– لقد شككت في الأمر ، فقد كان يبدو كأنه رواية تمثل على مسرح ، وما رأيته كان في غاية الوضوح : رأيت رجلاً أطلق عليه الرصاص ، والمرأة التي أطلقت عليه الرصاص لا تزال تحمل السلاح الذي استعمل في الجريـة ، هذا ما رأيته ، ولكننا نعلم الآن – لسبب واحد – أن هذه الصورة ليست صحيحة ، وهذا السبب هو أن السلاح الذي كان في يـد المرأة لم يكن هو السلاح الذي استعمل في الجريمة !

– تعني انه ربما كانت بعض تفاصيل الصورة خطأ أيضاً .

– لقد شهد الجريمة ثلاثة أشخاص آخرون ، ثلاثة أشخـاص يظهر أنهم وصلوا في نفس اللحظة إلى مسرح الجريمة ، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة جاء من طريق مختلف ، فأي من هؤلاء الثلاثة كان يمكنـه أن يسبق جيردا إلى حمام السباحة ، ومن ثم يقتل جون كريستو ، ثم يعود أدراجه ، ليكون على مسرح الجريمة مع الاثنين الباقيين .

– نعم هذا محتمل .

– وهناك احتمال آخر ، وهو أن أحدهم ربما اتخذ طريقه إلى حمـــام السباحة ، ثم ارتكب جريمته ، وعاد أدراجه دون أن يراه أحد .

– هذا صحيح أيضاً ، وهناك شخصان آخران – غير جيردا – يمكن أن يكونا محل اتهام ، لوجود نفس الدافع وهو الغيرة ، فهناك امرأتان على علاقة بالقتيل ، لقد ذهب كريستو لزيارة فيرونيكا كراي ذلك الصباح حيث تخاصما ، وقالت له إنها ستجعله يندم على ما فعل وإنها تكرهه كما لم تكره أي انسان من قبل .

– بديع !

– لقد عادت تواً من هوليود ، حيث يمثلون الجرائم وإطـلاق الرصاص على الناس ، فلربما كانت عائدة لاسترداد فرائها الذي تركته في الاستراحة في الليلة السابقة ، فقابلت كريستو ، وثارت المنـاقشات من جديد ، فأطلقت عليه الرصاص ، ثم سمعت وقع أقـدام ، فعادت أدراجهـا إلى فيلا دوفكوت .

وصمت برهة ..

ثم استطرد :

– ومع ذلك فـإن هنـاك لغز المسدس .. إلا إذا كانت قـد استعملت مسدسها الخاص ، وتركت بجوار الجثة المسدس الذي سرقته من مجموعة السير هنري ، لتلقي الاتهـام على الأشخاص الموجودين في قصر هولو ..

ولكن هذا الاحتمال يجعل الجريمة مدبرة ، وليست عفو المشـاجرة ، وهناك احتمال اتهام مس سافرنيك ، وهنا يمكنك كشاهد عيان أن تساعدنا لقد نطق دكتور كريستو بكلمة « هنريتا » قبل وفاته ، وقد سمعتـه وهو ينطق بها ، وقد سمعه الجميع .. فهل كان يتهم هنريتـا باطلاق الرصاص عليه ، هل كان يتهمها ؟

- لم أكن أعتقد هذا أول الأمر

- أما الآن ؟

- ربما كان الأمر كذلك ، وربما لم يكن !

- انه يعني أحد أمرين : إما اتهام ، وإما عاطفة . فهي امرأة يحبها ومن الطبيعي أن يكون اسمها هو آخر ما ينطق به .. فأي هذين الاحتمالين ترجح ؟

فتنهد بوارو وأغمض عينيه ..

ثم فتحهما !

ثم مد يده في يأس وقال :

كان يتكلم في عجلة ، هذا هو كل ما يمكن أن يوصف به ، وانني على تمام الثقة من أنه كان متمالكا لكل قواه ، كان يتحدث كطبيب يمارس عملية جراحية سريعة .

- كطبيب ؟ نعم .. لقد كان موقناً من أنه سيموت ، وأراد أن ينجز أمراً ، فإذا كانت مس سافرنيك هي أول من وقع عليه عيناه ، فإن هذا يعني طلباً .. ولكن هذا الافتراض لا يقدم ولا يؤخر .

وكان المفتش كرانج يطل من النافذة ..

فقال .

- ها هو مساعدي كلارك مقبل ، ويبدو أن لديه معلومات جديدة ، لقد كان يحاول أن يحصل على بعض المعلومات من الخدم .

ودخل السرجنت كلارك الغرفة وهو لاهث الأنفـــاس ، وكان يبدو مسروراً من نفسه .

والقى نظرة على بوارو .

فقال له المفتش :

- هات ما عندك يا ولدي ، ولا بأس من وجود مسيو بوارو .

– لقد قالت لي خـــادمة المطبخ . انها رأت جدجيون – رئيس الخدم – يعبر الصالة بعد ظهر يوم الأحد ، وهو يحمل مسدساً في يده ..

– جدجيون ..

– نعم !.

ونهض المفتش كرانج ، وقد تملكه سرور من يوشك أن يقبل على مهمة حبيبة وقال :

– سأتحدث إلى مستر جدجيون . وفي الحال !

- ١٢ -

وفي قاعة المكتبة بقصر هولو وا بـه المفتش كرانج رئيس الخدم الذي كان يقول في هدوء :

– إني آسف يا سيـدي ، كان يجب ان أدلي اليكم بهذه المعلومات ، لولا اني نسيت .

وراح ينقل بصره بين المفتش والسير هنري ..

ثم تابع قائلا :

– حدث هذا في تمام الخامسة والنصف ، وكنت أعبر الصالة لأرى هل هناك خطابات للبريد ، فلمحت المسدس ملقى على منضدة في الصالة ، وظننت أنه من مجموعة السيد ، فأخذته وأعدته إلى مكانه .

– أرجو أن تدل عليه .

ونهض رئيس الخدم ، ثم ســار إلى الدرج الذي تحفظ فيه الأسلحة ، وأشــار إلى غـدارة صغيرة من طراز مـوزر ، في نهاية الصـف ، وقال :

– هذا هو المسدس يا سيدي .

وكانت غدارة صغيرة ، ومن ثم فإنها بالتأكيد ليست السلاح الذي قتل جون كريستو .

وقال كرانج وهو يراقب تعبيرات محيا رئيس الخدم :
– هذه غدارة ، وليست مسدساً .
فسعل الخادم وقال :
– أحقاً ؟. الواقع يا سيدي إنني لا أعرف الكثير عن الأسلحة النارية ، ولذلك فإني لم أتحر الدقة في التعبير .
– ولكنك واثق من ان هذا هو المسدس الذي وجدته على المنضدة الموجودة بالصالة ؟
– نعم يا سيدي ، لا شك في هذا .

وحاول رئيس الخدم أن يمد يده ليمسك بالمسدس ، ولكن كرانج منعه قائلا :
– لا تمسه ، لاني سأفحص البصمات الموجودة عليه ، ولأبحث هل هو محشو بالرصاص

– إني لا أظن انه محشو بالرصاص يا سيدي ، فالسيد لا يحتفظ بالأسلحة وهي محشوة . أما بخصوص البصمات فقد مسحته جيداً قبل وضعه في مكانه فإذا كان ثمة بصمات فهي بصمات أصابعي أنا .
– ولماذا فعلت ذلك ؟
– من الضروري تنظيف الأشياء قبل حفظها يا سيدي .

وفتح الباب ودخلت ليدي انجكاتيل وقالت للمفتش :
– إني سعيدة برؤياك يا سيدي المفتش ، ما هذه المسألة الخاصة بالمسدس وجدجيون ؟. إن خادمة المطبخ تبكي وبقية الخدم يلومونها ، ولكني أعتقد انها على صواب في الادلاء بما ترى انه صواب ، وأنا شخصياً أجد مسألة الخطأ والصواب مسألة محيرة لا سيما إذا كان الصواب مراً والخطأ محتملا ، فضلا عن إختلاف وجهات النظر فيما يختص بالخطأ والصواب فما تراه خطأ قد يراه البعض صواباً . ماذا كنت تقول لهم عن المسدس يا جدجيون ؟

– كان المسدس على منضدة في الصالة يا سيدتي الليدي ، ولم أكن أعلم كيف وضع هناك ، فأخذته وأعدته إلى مكانه وهذا ما قلته للسيد المفتش ، ولا شك انه أدرك الحقيقة .

فهزت الليدي انجكاتيل رأسها وقالت بلطف :

– كان ينبغي ألا تقول هذا يا جدجيون ، وسأتحدث إلى المفتش بنفسي ..

وأبدى الخادم حركة خفيفة لكن الليدي قالت بابتسامة ساحرة :

– إني أقدر دوافعك يا جدجيون إني أعلم جيداً انك تعمل جاهداً على تخليصنا من المضايقات ، والآن هذا يكفي .

وتردد الخادم ثم أرسل نظرة سريعة إلى السير هنري ثم إلى المفتش ثم انحنى وغادر الغرفة .

وجلست الليدي انجكاتيل في أحد المقاعد ، وابتسمت للرجلين ، ثم قالت :

– أتعلمان إني أقدر هذا الخادم انه مخلص جداً .

– هل أفهم من هذا يا سيدتي الليدي أن لديك معلومات أخرى بخصوص هذا الموضوع ؟

– بالطبع ، فإنه لم يجد المسدس على المنضدة على الإطلاق ، لقد عثر بالمسدس حينما أفرغ البيض من السلة .

فحملق المفتش فيها وقال :

– البيض ؟

– نعم .. البيض الذي في السلة .

وظنت أن الأمور قد وضحت تماماً ، فقال السير هنري بلطف :

– يجب أن تبدي الأمر إيضاحاً يا عزيزتي ، فإني والمفتش لم نفهم ماذا تقصدين ؟

وقال المفتش .

– أية سلة ، وأي بيض يا سيدتي الليدي ؟

– السلة التي كنت أحملها في حظيرة الدواجن ، كان المسدس في داخلها وقد وضعت البيض فوقه ثم نسيت أمره . وحين وجـــدت جون كريستو مقتولاً بجوار حمام السباحة ، صدمت وكدت أسقط السلة بما فيها لولا ان جدجيون أسرع بالتقاطها وعاد بها الى القصر . وقد اكتشف وجود المسدس في قاع السلة فأعاده الى مكانه في هدوء لوجود رجال البوليس في القصر ، الأمر الذي يزعج الخدم دائماً إن العواطف شيء والحقيقة شيء آخر اليس كذلك يا عزيزي المفتش ؟

وابتسمت مرة أخرى وأغمض المفتش عينيه ثم فتحهما وقال :

– هل أخذت المسدس من هنا يا سيدتي ؟ أي مسدس أخذت ؟

فأشارت الليدي الى مجموعة الأسلحة وقالت :

– إنه الثاني من اليسار .. الموزر عيار ٢٥ مليمتراً !

وأذهله كلام الليدي ومعرفتها الدقيقة لقطع السلاح ، فكان يعتبرها سيدة خيالية تعيش على هامش الأحداث وسألها .

– تقولين انك أخذت المسدس ووضعته في قاع السلة ، فلماذا !

– كنت أتوقع ان تسألني هذا السؤال ، والواقع أنه يجب ان يكون هناك سبب ، اليس كذلك يا هنري !

– أظن انه يجب ان يكون هناك سبب يا عزيزتي .

– إن الانسان يفعل أشياء أحياناً ، ثم ينسى لماذا فعلها ، ولكني يا سيدي المفتش أظن انه كان هنـــاك سبب .. ربما كانت مجرد فكرة طرأت على ذهـني هي التي دفعتني إلى وضع المسـدس في سلة للبيض ، فمـاذا تظن هذه الفكرة ؟

فحملق فيها كرانج في فضول ..

إنه لم يقابل مثـل الليدي انجكاتيل من قبـل ، وهو لا يدري كيف يتصرف .

وأخيراً قال السير هنري :

– إن زوجتي كثيرة النسيان يا سيدي المفتش .

قال المفتش في جفاء :

– هذا واضح يا سيدي

فسألته الليدي :

– لماذا تظن اني أخذت المسدس ؟

– لست أدري يا سيدتي .

– لقد دخلت هذه الحجرة ، وكنت أتحدث إلى الخادم عن أغطيـة الحشيات ، ثم عبرت الحجرة إلى المدفأة ، وكنت أفكر في ترتيب لعبـة البوكر في المساء ..

وحملق المفتش وقد شعر أن رأسه بدأ بالدوران ..

وتابعت الليدي :

– وإني لأذكر إني أخذت المسدس ، إنه سلاح جميل صغير كنت دائمـاً أحبه ، ثم وضعته في سلة البيض ، وذهبت إلى حظيرة الدواجن ولكني كنت في الواقع مشغولة الذهن جداً .

وتحدث المفتش في خشونة فقال :

– وهل حشوت المسدس ؟

وكان يرجو أن يزعجها أو يخيفها قليلا ، ولكن الليدي رددت سؤاله في يأس :

– ترى هل حشوته ؟ إني لا أذكر ، ولكن لا بـد إني فعلت ، أليس كذلك يا سيدي المفتش ؟

فما جدوى السلاح إذا لم يكن محشواً بالرصاص ؟ وددت لو كنت أتذكر

السبب في كل ذلك .

قال هنري :

ـ يا عزيزتي لوسي إن ما يدور في رأسك كان دائماً مصدر متاعب للجميع في هذا القصر .

فابتسمت له وقالت :

ـ إني أحاول ان أتذكر يا عزيزي هنري . إن الانسان يأتي أعمالاً غريبة أحياناً .

لقد أمسكت سماعة التليفون ذات صباح ، ثم وجدت نفسي أنظر اليها في عجب فلم أكن أعلم لماذا أمسكتها !

فقال المفتش ببرود :

ـ ربما أردت الاتصال بشخص ما تليفونيا ؟

ـ من الغريب اني لم أكن أريد ذلك .

والقت على الرجلين نظرة انتصار . .

قال المفتش :

ـ حسناً . . إن بعض الناس يحدث لهم ذلك

ولكنه لم يصدق الحكاية ، وكان يعتقد أن المسألة كلها نسيج من الأكاذيب

قال لنفسه :

لنفرض انها هي التي أطلقت الرصاص على جون كريستو ، ولكن لماذا أطلقته عليه ؟

إنه لا يجد سبباً معقولاً يدفعها الى قتله . ترى هل يستمر الخدم في الكذب لتغطية سيدتهم ؟

وعاد يفكر في الأمر :

ترى هل هي صادقة في أنها لا تذكر لماذا أخذت المسدس ؟ انها بالتأكيد

كان يمكن ان تقدم تعليلا أفضل .

ولكنها تبدو طبيعية وهي تدلي بهذا التعليل الغريب انها تقنعك بأنها تقول الحقيقة !

ونهض ثم قال في صوت جاف :

– حينما تتذكرين أرجو ان تتفضلي باخبارنا عن السبب

فقالت :

– طبعاً ، طبعاً إني أتذكر الأمور فجأة أحياناً !

- ١٣ -

انتهى التحقيق ، وكان مجرد اجراء شكلي ، فقد طلب البوليس تأجيله أسبوعين .

وكانت جيردا قد حضرت من لندن برفقة مسز باترسون في سيارة ، وكانت عصبية مرتبكة ، وبعد أن فرغت من التحقيق عـــادت إلى سيارتها .

وفي هذه اللحظة التقط أحد الصحفيين صورة جيردا ، وكانت كمن ارتدى قناعاً من الحيرة . .

وقالت ميدج :

– يا لها من مسكينة !

وقال إدوار :

– اني لا أرى داعياً للحزن على شخص مثل كريستو ، إن زوجته المسكينة تحطمت تماماً !

وقالت ميدج :

– انه كان كل شيء في حياتها .

وانتهى كلامهما عند هذا الحد ، وكان على هنريتا أن تأخذ ميـدج في سيارتها إلى لندن . أما إدوار فعاد إلى قصر هولو ليتناول طعام الفطور . ثم

يستقل قطار بعد الظهر مع دافيد . وكان قد دعا ميدج الى الفطور في قصر ايتزويك في يوم ترك لها تعينه .

فقالت : ان الفطور يجب ان يستغرق نحو ساعة فقط .

فابتسم وقال :

– إنها مناسبة طيبة توجب أن يمنحوك إجازة .

ونظرت هنريتا إلى لوسي قائلة .

– أظن انه يمكنني أن أعود إلى هنا ، اليس كذلك ؟

– طبعاً يا عزيزتي ، ومع ذلك فإن هناك تحقيقاً بعد اسبوعين .

واتجهت هنريتا إلى السيارة ، فاستقلتها مع ميدج ، وانطلقتا .

وبعد فترة صمت قالت :

– إني سعيدة بالابتعاد عن هذا المكان .. وحتى بالابتعـاد عن لوسي ، فهي مع رقتها تخيفني أحياناً .

وكانت هنريتا تنظر معظم الوقت في مرآة القيادة ، فقالت دون اكتراث

– ان لوسي تضفي لوناً خاصاً على أي شيء ، حتى على الجريمة !

– هل تعلمين إني لم أفكر في الجريمة من قبل ؟

– ولماذا تفكري ؟ ان الجريمة ليست من الأشيـاء التي يستحب التفكير فيها ، قد تسهل قراءتها في صحيفة أما في الحقيقة ..

فأكملت ميدج :

فهي فظيعة !

– لا داعي لأن تزعجي نفسك بها فأنت أبعد الناس عنها .

– هل تفهمين معنى مسألة المسدس الثاني يا هنريتا ؟

– كلا .. إنها فقط تبرىء جيردا ، ولكنها لا تقـدم في التحقيق ولا تؤخر .

– ولكن إذا كان أحد أسلحة هنري ..

- تذكري اننا لا نعلم فالبوليس لم يعثر بعد على المسدس الذي ارتكبت به الجريمة .

- هذا صحيح ، وقد يكون لشخص خارجي ؛ فهل تعلمين اني اميل الى اتهام تلك المرأة .

- فيرونيكا كراي ؟

- نعم ؟

ولم تعلق هنريتا ؛ بل استمرت تقود السيارة وقد ركزت بصرهـا على الطريق أمامها !

فقالت ميدج في الحاح :

- نعم انه محتمل .

- ألا تظنين . .

- لا فائدة من التخمين ، إن أفضل حل هو أن نخرج جميعاً من المشكلة ، ولو اني أحبذ أن تكون المتهمة فيرونيكا ، فلن يسرني شيء بقدر أن أراهـا تقوم بالدور - كما تقول لوسي - في قفص الاتهام .

- ١٤ -

وقف إدوار الجكاتيل وسط زحام شارع شامتسبري مترددأفي دخول محل أزياء يحمل إسم مدام الفاج . لقد أحجم عن الاتصال بميدج تليفونياً ليدعوها لتناول طعام الغداء ، فقد صدمته الحادثة التليفونية التي جرت بينها وبين مدام الفاج في قصر هولو .

كان في لهجة ميدج ذلة ومسكنة أهاجت شعوره ، فلم يعرفها إلا مرحة ضاحكة ترى كيف تحملت وقاحة صاحبة المحل ، منذ تلك اللحظة قرر إدوار أن المسألة كلها خطأ يجب تصحيحه .
كان يكن إعزازاً خاصاً لها ، كان دائماً يسميها ميدج الصغيرة .

كانت في أول زيارة لها لقصر ايتزويك خجولة معقودة اللسان ، ولكنها سرعان ما اندمجت ، ورأى إدوار أن عدم أدراكه لحقيقة حالها إنما يرجع إلى إصراره على العيش في الماضي وعدم اعترافه بالحاضر .

ومنذ سمع حديث مادج مع صاحبة المحل فارقته راحة البال ، واخذ يلوم نفسه على اهماله متابعة أحوال ميدج والاهتمام بسعادتها ، وأقلقه عملها المزري لدى مدام الفاج ، وها هو قد حضر ليرى المحل الذي تعمل فيه .
كلا ، إن هذا المكان لا يليق بها ، ويجب على أحد أفراد الأسرة – لوسي انجكاتيل مثلا – أن تتخذ اجراء ما ..

وبمجهود كبير تغلب ادوار على خجله، فشد قامته، ودخل المحل ، ولكنه حين وجد نفسه بالداخل سمره الارتباك في موضعه .

لقد شاهد شقراوين حادتي الصوت تفحصان بعض الثياب في أحد الأركان بمعاونة بائعة وفي آخر المحل كانت سيدة قصيرة القامة ذات انف ضخم وشعر مصبوغ بالحناء تناقش زبونة مرتبكة ، ومن مقصورة مجاورة سمع صوتاً قبيحاً لامرأة يقول :

– انها ثياب فظيعة ، ألا يمكنك أن تعرضي علي ثياباً أفضل ؟

وسمع صوت ميدج يرد قائلا :

– ان هذا الثوب بديع حقيقة ، وأظن أنه يناسبك .

– انني لن أضيع وقتي في ارتداء ثياب لا تليق بي لقد قلت لك انني لا أحب اللون الأحمر ولكنك لا تعيرين ما أقول أي انتباه !

– لنختر لك ثوباً آخر ، هل تحبين اللون الأخضر ؟ أم البيج ؟

– إنها الوان فظيعة ! كلا .. اني لا ارى أي فائدة انني اضيع وقتي .

وكانت مدام الفاج قد تخلصت من الزبونة واقتربت منه .

فجمع أطراف شجاعته وسألها :

– هل يمكنني .. هل مس هارد كاسل هنا ؟

فارتفع حاجبا مس الفاج !

ولكن عينها الخبيرة لاحظت ثياب ادوار الأنيقة ، فابتسمت وكانت ابتسامتها مع الجهد أقبح من لسانها السليط ..

ومن المقصورة سمع المرأة تقول :

– كم أنت مهملة ! سأرتدي الثوب بنفسي أعطني الحزام .

واتسعت الابتسامة القبيحة على وجه مس الفاج وقالت :

– ستفرغ ميدج من عملها بعد دقيقة واحدة .

وفي نفس اللحظة غادرت المقصورة سيدة صفراء الشعر سيئة الخلق ،

تحمل بمجوعة من الصناديق ، واتجهت إلى باب الخروج رأساً ، تتبعها ميدج في ثوب أسود بسيط ، لتفتح لها الباب ، وقد بدت التماسة واضحة على وجهها .

فقال لها ادوار على الفور :

– جئت لآخذك معي لتناول الغذاء .

والقت ميدج نظرة سريعة على الساعة ، فلقيتها الواحدة وعشر دقائق ، فقالت :

– انني لا أنتهي من عملي قبل الواحدة والربع ..

فتدخلت مدام الفاج قائلة في نوبة كرم مفاجىء :

– يمكنك أن تذهبي الآن فلا داعي لأن ينتظرك صديقك .

وكانت تضغط على مخارج الألفاظ وهي تقول كلمة « صديقك » ، ومع ذلك قالت ميدج :

– شكراً لك يا مدام الفاج ، لحظة ريثما اغير ملابسي .

وجرت ميدج الى نهاية المحل حيث اختفت !

وبقي ادوار ينتظر !

ولما عادت قادها ادوار الى الطريق وهو يقول :

– يا إلهي ، هل هذا هو نوع العمل الذي تمارسينه ؟ لقـــد سمعت تلك المرأة السليطة تتكلم معك من وراء المقصورة ، كيف تتحملين هذا يا ميدج ؟ لماذا لم تاق بالثوب في وجهها ؟

– لأنني افقد عملي اذا ارتكبت عملاً كهذا ؟

– ولكن ألا تشعرين بهذه الرغبة أحياناً ؟

– طبعاً وخصوصاً في نهاية يوم قانط الحر خلال الأوكازيونات !

– ميدج يا صغيرتي العزيزة هذا العمل لا يليق بك قطعاً .

فضحكت وقالت :

– لا تقلق نفسك لماذا حضرت إلى هنا بحق السماء لماذا لم تتصل بي تليفونيا ؟

– أردت أن أرى كل شيء بنفسي .. كنت قلقاً عليك ، ان لوسي لا تكلم خدمها بتلك اللهجة التي كانت المرأة السليطة تكلمك بها وددت لو اني أخذتك من هذا المكان الكريه الى ايتزويك رأسا لكي تبقي هناك .

هذا اذا كنت ترين ان الزواج مني أمر مقبول ..

– ماذا تعني يا ادوار ؟

– انني اقترح عليك ان تتزوجيني ، وأنا اعلم انه ليس اقتراحاً رومانطيقياً على الاطلاق ، فأنا شخص ممل لا أحسن شيئاً .. اني فقط اقرأ الكتب ، واتسكع هنا وهناك ، ولكن على الرغم من اني شخص لا أثير الاهتمام ، فاني اعلم انه يمكننا ان نعيش معاً ، وأظن انك ستكونين سعيدة يا ميدج ، فهل تقبلين ؟

فابتلعت لعابها !

ثم قالت :

– ولكنني اظن انك وهنريتا .

ثم صمتت !

فقال ادوار في صوت هادىء :

– نعم ، لقد سألت هنريتا ان تتزوجني ثلاث مرات فرفضت .

وسادت فترة صمت اخرى قبل ان يستطرد :

– والآن يا عزيزتي ما رأيك ؟

فتطلعت اليه ..

ثم قالت في تأثر :

– انه يبدو امراً غريباً ان تقدم المرء الجنة على طبق فضي .

فأشرق وجهه ووضع يده فوق يدها البضة الصغيرة وقال :
– الجنة على طبق فضي ، اذن هذا شعورك نحو ايتزويك ؟ اني سعيد كثيراً يا عزيزتي . .

* * *

قالت الليدي انجكاتيل وهي تصافح ادوار وتربت على كتف ميدج .
– اني سعيدة كثيراً يا عزيزي ، لقد تصرفت التصرف الصحيح بدفعها إلى ترك ذلك المحل المفزع ، والحضور إلى هنا لعقد القران .

كان استقبال لوسي للخبر كما توقعت ميدج تماماً ، وأفرحها ذلك ، فشعرت أنها تحب أن تضحك ثم تبكي فرحاً . .
وقالت في تأثر بالغ :

– يسعدني أن يعقد قراني هنا يا لوسي
– إذن اتفقنا يا عزيزتي لا شك انك على صواب في هذا .
– اني افضل احتفالاً بسيطاً وبثوب .

– لا تقولي انك ستشترين ثوب الزفاف من مدام الفاج ؟
فقال إدوار بلهجة التأكيد :
– كلا بالطبع !
وقالت انجكاتيل :

– سآخذك إلى محل ميرايل
– ولكني لا أملك ما أشتري به من ميرايل .

– هراء . . إني وهنري لا بد أن نقدم هدية للعروس ، ان هنري لم يذهب إلى عرس منذ سنتين وسأرتدي أنا ثوباً سماوياً وعليك يا ادوار أن

تحضر صديقاً وإلا فلا مناص من اصطحاب دافيد ، انه سيفيد كثيراً من حضور مثل هذا الحفل فسيعلمه الاتزان وربما كان من الأفضل الاقتصار على ضيوفنا الذين حضروا الجريمة !

وكانت ليدي انجكاتيل تقول الجملة الأخيرة في بساطة

وقالت ميدج :

– يظهر ان لوسي قد دعت ضيوفها لتسليهم بالجريمة !

ولدهشتها قالت لوسي وهي غارقة في خواطرها :

– نعم . يظهر ان الأمر كان على هذا الوضع !. حفلة لاطلاق الرصاص كلما فكرت في ذلك الحادث ، زدت يقيناً أنها كانت كذلك ؟

فاعترت ميدج رعدة ..

وقالت :

– حسناً لقد انتهى كل شيء الآن .

– انه لم ينته بعد ، لقد أجل التحقيق فقط ولكن رجال المفتش كرانج ما انفكوا يرتادون الغابة ويضعون أنوفهم في كل شيء .

– عم يبحثون ؟ عن السلاح الذي قتل جون كريستو ؟

– لا بد أن الأمر كذلك حتى لقد جاءنا المفتش بأمر تفتيش ، وكان يحاول المسكين في خجل أن يفهمنا حقيقة الموقف وطبعاً سمحنا له بما اراد ، ان الأمر كله مدهش ، لقد فتشوا كل شيء وكنت أنا أتابع عملهم ، واقترحت عليهم أماكن للبحث لم تخطر لهم ببال ولكنهم لم يعثروا على شيء ! وقد ساءهم ذلك .

* * *

جلس بوارو على حافة التل المشرف على أشجار الكستناء وحمام السباحة !

لم تكن لديه أية نية في مشاركة رجال البوليس في البحث حتى بعد أن سمحت له الليدي بذلك .

وكان في هذه اللحظة يعجب للطف ورشاقة الليدي انجكاتيل

ومن وقت لآخر كان يسمع فرقعة الأغصان الجافة تحت اقدام رجال البوليس الثقيلة . أو يرى اشباحهم خلال أشجار الكستناء المترامية أمامه !.

وفجأة رأى هنريتا قادمة وتوقفت قليلا حين لمحته ثم اقتربت رأساً إلى مكانه ، وجلست بجانبه وحيته قائلة :

– طاب صباحك يا مسيو بوارو، فقد كنت أفكر في زيارتك ، هل ترأس جماعة الباحثين ؟ إن المفتش يبدو في غاية النشاط . ترى عم يبحثون ؟ عن المسدس ؟

– نعم يا مس سافرنيك

– هل تظن انهم سيجدونه ؟ وفي أي مكان سيجدونه ؟

– نعم ، فقد حان وقت العثور عليه !

– ان حديثك يبدو غريباً أحياناً يا مسيو بوارو .

– إن الأشياء الغريبة هي التي تجري ، أرى انك قد عدت سريعاً من لندن .

– إن القاتل كثيراً ما يعود إلى مسرح الجريمة ، أليست هذه هي الفكرة الشائعة يا مسيو بوارو ؟ انك تعتقد انني القاتلة ، ولا تصدقني حينما أقول لك اني لا أقوى على قتل ذبابة

ولم يبادر بوارو بالرد .

وبعد برهة قال :

.. كنت أعتقد منذ البداية ، ان هذه الجريمة إمـا أن تكون من السهولة بحيث يصعب تصديق سهولتها ، فالسهولة يا آنسة كثيراً ما تحير المرء ، أو هي في غاية التعقيد . ومعنى ذلك أننا نواجه عقلاً جباراً قادراً على الابتكار بحيث اننا كلما اتجهنا إلى الحقيقة ، قادنا العقل الجبار إلى طريق يبتعد بنـا عنها ، فهناك عقل ذكي يعمل ضدنا .. وينجح في عمله !

ـ حسناً ، وما علاقتي انا بكل هذا ؟

ـ إن العقل الذي يعمل ضدنا عقل فنان يا آنسة .

ـ آه ، من هذا الباب أدخل أنا إذن !

- ١٥ -

زار المفتش كرانج ويستهافن ليتناول قدحاً من الشاي مع بوارو ، وكان في حالة تشاؤم .

وقال المفتش وهو يشرب الشاي :

– إن التحقيق الذي أخرناه اسبوعين سيحل بعد غد ، ومع ذلك فإننا لم نتقدم خطوة واحدة . إن المسدس في مكان ما من هذه الغابات التي يحتاج البحث والتنقيب خلالها إلى جيش كامل .

إن البحث عن المسدس خلال هذه الغـابات كالبحث عن إبرة في كومة من القش .. والواقع إننا يئسنا من البحث ، وقد لا نعثر بالمسدس على الإطلاق .

– ستجده إن عاجلاً وإن آجلاً ، وأنا أميل إلى الظن بانك ستعثر بـه قريباً ، أتريد قدحاً آخر من الشاي ؟

– لا بأس ..

وجعل يرتشف الشاي وهو مكتئب ..

وأخيراً قال :

– لقد جعلتني هذه القضية أضحوكة اسكوتلانـديارد يا مسيو بوارو . اني لا أعرف كيف أتصرف مع هؤلاء الناس فهم يظهرون لنا كل مساعدة

ولكن كل معلومات يدلون بها تقودنا إلى الفشل ، إنها تقودنا في الواقع بعيداً عن الحقيقة .

– بعيداً . نعم بعيداً !

– خذ مسألة المسدس مثلاً ، يقول تقرير الطبيب الشرعي ان جون كريستو مات رمياً بالرصاص قبل حضورك الى مسرح الجريمة بدقيقة او دقيقتين .

وكانت ليدي انجكاتيل تحمل سلة بيض ، وهنريتا تحمل سلة أزهار ، وادوارد يرتدي ثياب الصيد وقد حشا جيوبه بالخرطوش وكان يمكن لكل واحد من هؤلاء ان يخفي المسدس معه ثم يحمله بعيداً . ولم نعثر بالمسدس في أي مكان قريب من حمام السباحة ، لقد بحثنا كل شبر من الأرض ، وانا واثق من عدم وجوده .

فأومأ بوارو برأسه ، بينما تابع المفتش :

- إن كل قرينة عثرت عليها كانت تقودني إلى لا شيء . وقصصهم عن كيف قضوا صباح يوم الجريمة تظهر متماسكة :

كانت مس سافرنيك مشغولة بقطف الأزهار ، والليدي انجكاتيل تجمع بيض الدجاج ، وسير هنري وادوارد خرجا للصيد ثم افترقا ، فعاد سير هنري إلى القصر ، أما ادوارد فقد اخترق الغابة في طريقه إلى حمام السباحة . والشاب الصغير كان في حجرته يقرأ كتاباً ، أما مس هارد كاسل فكانت تقرأ كتاباً في الحديقة .

كلها قصص تبدو معقولة ، ولا دليل يمكن ان يثبت صحة قصة منها . أما جدجيون فحمل أكواب الشراب الى الاستراحة في تمام الساعة الثانية عشرة ولم يدل الينا بأية معلومات بخصوص الضيوف .. وهكذا ترى أن كلا منهم يخفي شيئاً .

– أحقاً ؟

- طبعاً ، ولعل أجدر الجميع بالاتهام هي فيرونيكا كراي ، فقد تشاجرت مع كريستو ، وجاهرت بأنها تكرهه ، ومن ثم فهي حرية بأن تطلق عليه الرصاص ، ولكني لم أجد دليلا واحداً يثبت انها أطلقت عليه الرصاص ، ولم تكن أمامها فرصة لسرقة أحد مسدسات مجموعة سير هنري ولم يرها أحد تبرح الفيلا او تتجه إلى حمام السباحة في ذلك اليوم والمسدس المفقود ليس في حوزتها الآن .

- وهنريتا سافرنيك ؟

- لقد عادت إلى الاستديو رأساً ، وسمحت لنا بتفتيش الاستديو فلقيناه مملوءاً بالأشكال الغريبة مجموعة من الألومنيوم والخشب والبرونز في أشكال غريبة ، وحصان ليس بحصان !

- حصان ؟

- نعم إذا شئت أن تسميه حصاناً ولا أدري لماذا لا يذهب أمثالها لمشاهدة حصان حقيقي قبل عمل تمثال له !

فقال بوارو في صوت حالم :

- حصان !

فالتفت اليه كرانج وقال :

- نعم حصان ، ماذا يثير الاهتمام في ذلك ؟

- لا شيء .. إنها مجرد فكرة .

- على كل حال قد عادت هنريتا إلى قصر هولو منذ يوم أو يومين ، هل تعلم هذا ؟

- نعم لقد تكلمت معها ورأيتها مراراً تتريض في الغابة .

- انها لا تهدأ فقد كانت تحب الطبيب القتيل ، ولعل هذا كان السبب في نطقه باسمها ساعة احتضاره .

وسكت المفتش قليلا ثم تابع :

- إن في الجو شيئاً يبعث على الحيرة . ويبدو لي أنهم جميعاً يعرفون . فهذه الليدي انجكاتيل لا ترى مبرراً معقولاً لوضعها المسدس في قاع سلة البيض، إنه على جنوني اني أحياناً أظن انها مجنونة .

- كلا إنها ليست مجنونة .

- وهناك ادوارد انجكاتيل ، فقد ظننت اني سأحصل منه على شيء ، خصوصاً وقد ألمحت الليدي انجكاتيل إلى حبه لهنريتا ، فقد كان في ذلك دافع للتخلص من غريمه في الحب ، ولكن ها هو يعقد خطبته على الفتاة الأخرى - مس هارد كاسل - فحطم مجرد الدافع على القتل !.

وهكذا ترى انها مجرد شكوك ، لا تقودك إلا بعيداً عن الحادث !

فقال بوارو في صوت حالم :

- بعيداً لا قريباً ، منه لا اليه نعم .

- إن آل انجكاتيل قوم غريبو الأطوار ، وأكاد أقسم في بعض الأحيان إنهم يعرفون كل شيء .

- إنهم فعلاً يعرفون !

- تعني إنهم جميعاً يعرفون القاتل ؟

- نعم .. إنهم يعرفون ، لقد كنت أظن ذلك .. أما الآن ، فأنا متأكد تماماً .

- حسناً ، إنهم يخفون الأمر فيما بينهم ، ولكني سأتغلب عليهم وسأعثر على المسدس ، إني مستعد لإعطاء أي شيء في سبيل ذلك .

وكان بوارو يطل من النافذة فلفت نظره التواء بسيط ، في سياج حديقته فقال :

- إذا لم أكن مخطئاً ، فهناك حقيقة كامنة في سياج النباتات قرب باب الحديقة

وخرج الاثنان إلى الحديقة ، واتجها إلى بابها وركع كرانج وأزاح النباتات جانباً ليرى الشيء الذي القي بينها ، وتنهد بعمق حينما وجد ان ذلك الشيء كان من الصلب . فقال :

– إنه المسدس !

والتفت المفتش الى بوارو في شك وريبة ..

فقال بوارو على الفور :

– كلا يا صديقي إني لم أطلق النار على دكتور جون كريستو ، ولم أخف المسدس في سياج حديقتي .

– إنك لم تخفه طبعاً ، حسناً .. لقد عثرنا عليه وهو يبدو كأنه المسدس الناقص من مجموعة السير هنري . وهذا أمر يمكن التأكد منه بسهولة وبالتالي هل هو المسدس الذي استخدم في قتل جون كريستو أم لا .

ولف المسدس في منديله الحريري بعناية ثم قال :

– ربما كانت عليه بصمات ، إن لدي شعوراً ، بأن الحظ قد بدأ يحالفنا ؟

وغادر المفتش فيلا ربستهافن في سرعة . وبعد قليـــل اتصل ببوارو تليفونياً وكان في صوته رنة فرح :

– أهذا أنت يا مسيو بوارو؟ انه المسدس الذي ارتكبت به الجريمة لا شك في هذا وهو أيضاً يحمل مجموعة كبيرة من البصمات .

– هل تعرفت على البصمات ؟

– ليس بعد ، إنها ليست بصمات مسز كريستو على كل حال ، إنها تبدو كبصمات رجل ، وسأزور قصر هولو غداً لأخـــذ بصمات الجميع ، ومن ثم يتضح الموقف .

– بالطبع ! بالطبع !

وفي اليوم التالي اتصل به المفتش تليفونياً وكانت رنة الفرح قد اختفت

من صوته ، قال في كآبة :

– إن هذه البصمات لا تخص أحداً ممن شملتهم القضية . ويبدو أن الجريمة من فعل شخص خارجي ، شخص كان يحقد على جون كريستو سرق السلاح من القصر وصرع كريستو وهرب دون ان يراه أحد .

– هل تريد بصمات أصابعي يا صديقي ؟

– لا بأس ألم تكن من شهود الجريمة ؟!

* * *

تنحنح المحقق ثم نظر الى رئيس المحلفين الذي كان ينظر في ورقة أمامه . وأخيراً قرأ :

« قررت المحكمة أن القتيل قد لاقى حتفه بيد مجهول أو مجهولين » .

وهز بوارو رأسه .. لم تكن هناك مندوحة من مثل هذا القرار .

وأسرعت ايلزي باترسون تقول لجيردا :

– أسرعي يا عزيزتي حتى لا يفوتنا القطار ..

وأطاعت جيردا ، وقد ظهر عليها الارتياح ..

فقالت ميدج :

– يا لجيردا المسكينة .. الواقع ان وفاة جون حررتها تماماً من ضيافتك الخيفة يا لوسي .

– ما هذه القسوة يا ميدج ، إن أحداً لا يفكر اني حاولت إدخال السرور إلى نفسها .

– انك تكونين أسوأ حين تحاولين .

– حسناً ، قد انتهى كل شيء .. إلا فيما يختص بالمفتش كرانج المسكين ،

اني في الواقع آسفة من أجله ، ترى هل يسره أن ندعوه لتناول الغداء ، كصديق .

– من الأفضل أن تتركيه وشأنه يا لوسي .

– إن الأمر يستدعي احتفالاً ما ، أليس جميلاً أن ينتهي الأمر كما نشتهي ؟ إني أعرف فيم تفكر يا هنري وساهمتم بذلك بعد الظهر .

– ماذا تخبئين لنا من مفاجآت جديدة ؟

– أوه لا شيء مجرد تشطيبات بسيطة !

فنظر اليها سير هنري في شك وسارت الجماعة فلما وصلوا إلى قصر هولو استقبلهم رئيس الخدم فقالت له الليدي :

– قد سار كل شيء على ما يرام ، أنقل هذا الخبر الى الخدم ، اني أقدر شعوركم جميعا .

– كنا جميعاً في غاية القلق من أجلك يا سيدتي .

– شكراً لكم ، الواقع اني استمتعت بالحادث فهو شيء غير مألوف في حياة الانسان الرتيبة .

* * *

إستقبل بوارو زائره الثالث بعد ظهر ذلك اليـــوم . فسبق ان زارته هنريتا سافرنيك ، ثم زاره المفتش كرانج واليوم تزوره الليدي انجكاتيل ، رآها تسير في رشاقة وخفة خلال ممر الحديقة فأسرع يفتح لهـــا الباب .. فابتسمت له وقالت :

– أتيت لأزورك .

– يسرني ذلك يا سيدتي .

وقادها إلى غرفة الجلوس ، فجلست على أحـد الكراسي وهي تبتسم وقال بوارو لنفسه :

« قد ظهرت عليها علائم الكبر، إن شعرها رمادي ، وقد بدأت التجاعيد تظهر على صفحة وجهها ، ولكن لها سحراً وستظل دائماً ساحرة » .

قالت الليدي :

– أود أن تؤدي لي خدمة .

– بكل سرور يا سيدتي .

– ولكني أولاً سأتكلم عن جون كريستو .

– عن دكتور كريستو ؟

– يظهر لي أن أفضل في مسألته هو أن ننتهي منها

– إنني لست متأكداً من انني أفهم ما تعنين يا سيدتي الليدي .

فرفعت اليه وجهاً مشرقاً ، وابتسامة ساحرة ومدت يداً رقيقية لمست بها كتفه ، وقالت :

– يا عزيزي بوارو ، إن البوليس سيواصـل مبحث عن صاحب تلك البصمات ، ولكنه لن يعثر عليه أبداً ، وسيضطرون في نهاية الأمر إلى ترك الموضوع كله ولكنك لن تترك الموضوع أبداً أليس كذلك ؟

– نعم اني لن أترك هذا الموضوع .

– هذا بالضبط ما ظننته ، وهذا هو سبب حضوري .. انك تبحث عن الحقيقة ، أليس كذلك ؟..

– نعم . بلا شك .

– اني لم أوضح غرضي جيداً . اني أحاول ان أفهم لماذا لا تترك الموضوع: ليس هذا بسبب سمعتك ، ولا لأنك تريد ان تشنق القاتل – الشنق كما تعلم ميتة قاسية – وإنما لأنك تريد ان تعرف ، أليس كذلك ؟ فإذا قـدر لك أن تعرف الحقيقة ، او اذا قيلت لك الحقيقة ، فهل تكتفي بذلك ،

يا مسيو بوارو ؟

– أتودين ان تصرحي لي بالحقيقة يا ليدي انجكاتيل ؟

فأومأت برأسها ، فعاد يسأل :

– أنت تعرفين الحقيقة اذن ؟

– عرفتها منذ وقت طويل ، وأود أن أرويها لك ، لكن بشرط ان تنتهي الأمور عند هذا الحد ، فهل توافق ؟

– كلا يا سيدتي اني لا أوافق على اقتراح كهذا .

كان يود في نفسه أن يترك الأمور تنتهي عند هذ الحد ، لمجرد ان لوسي طلبت ذلك ولكن ابت الأمور كانت كما تخيلتها الليدي .

وجلست الليدي جامدة ، ثم رفعت حاجبيها وقالت :

– ترى هل تدرك معنى ردك هذا ؟!

* * *

استلقت الليدي انجكاتيل في فراشها وراحت تفكر : نعم .. انها يجب ان تقوم بزيارة اخرى لبوارو وستقنعه بوجهة نظرها ، و .

وفجأة نهضت من فراشها ، وتوجهت الى غرفة هنريتا وكان عقلها النشيط يعمل قبل فمها ، واندفعت الى الغرفة قائلة :

– وفجأة تبينت يا عزيزتي انك نسيت هذا !

فتململت هنريتا في فراشها وقالت :

– بحق السماء يا لوسي ان الطيور لم تستيقظ بعد !

– أعرف هذا يا عزيزتي ، لكنها كانت ليلة مضطربة ، كنت افكر فيما اقوله لمسيو بوارو .

– اني آسفة يا لومي ، ولكني لا افهم حرفاً مما تذكرين ، الا يمكنك ان تنتظري حتى الصباح ؟

– انها مسألة الجراب يا عزيزتي ، ظننتك نسيت امره .

وفجأة جلست هنريتا في فراشها ، وقد طار النوم وقالت :

– الجراب ؟

– قد كان مسدس هنري في جراب ، ولم يعثر البوليس على الجراب بعد ، لأنهم لم يفكروا فيه .

ونهضت هنريتا من فراشها وقالت :

– إن الانسان يغفل أحياناً عن بعض الأشياء .

- ١٦

تقلبت جيردا في فراشها . .
ثم اعتدلت جالسة .
لقد عاودها الصداع ، فقالت :

« سأهيء لنفسي قدحاً من الشاي » .
وذهبت الى المطبخ ووضعت الاناء على الموقد وكان الماء يوشك ان يغلي حينما سمعت جرس الباب يدق وكان الخدم في اجازة ، فذهبت جيردا الى الباب وفتحته .
وأدهشها أن ترى هنريتا فقالت :

- تفضلي يا عزيزتي ، ان الجميع في الخارج ، وأنا وحيدة .
- يسرني ذلك فقد اردت التحدث اليك على انفراد ، اسمعي يا جيردا ماذا فعلت بالجراب ؟

وتوقفت جيردا وفجأة خلت نظراتها من كل تعبير وقالت :
- الجراب ؟
ثم فتحت باباً وقالت :

- يحسن ان تدخلي هنا ، ان الغرفة متربة مع الأسف ، فلم ينظفها الخدم هذا الصباح ، لأنهم كانوا في اجازة و .

فقاطعتها هنريتا قائلة :

– اسمعي يا جيردا ، يجب ان تفهمي ، ان كل شيء على ما يرام ما عدا الجراب وليس ثمة ما يمكن أن يربطك بالحادث .. انني عثرت على المسدس حيث القيته أنت في الدغل بالقرب من حمام السباحة ، فأخفيته في مكان لا يمكن ان تكوني انت قد أخفيته فيه ، وعلى المسدس بصمات اصابع لا يمكن ان يصل البوليس الى صاحبها .. ولكن هنـــاك الجراب ، يجب أن أعرف ماذا فعلت به .

وصمتت وهي تدعو ربها ان تفهم جيردا بسرعة ولم تكن هنريتا تدرك لماذا هي في عجلة ، ولكنها كانت فريسة شعور بأن الأمر عاجل

فهي واثقة من ان احداً لم يكن يتبعها ، فقد بذلت كل ذكائها لتضلل من يمكن ان يفكر في اقتفاء أثرها .

وكانت جيردا لا تزال تحملق فيها وقالت هنريتا لنفسها : « ان جيردا بطيئة الفهم مع الأسف » .

وقالت بصوت مرتفع :

– اذا كان الجراب لا يزال في حوزتك يا جيردا ، فمن الأفضل ان تعطيه لي وسأتخلص أنا منه ، انه الشيء الوحيد الذي يربطك بمصرع جون فهل هو معك ؟

وبعد فترة هزت جيردا رأسها ايجاباً ، فقالت هنريتا :

– الا تعلمين انه من الجنون أن تحتفظي به ؟

– انني نسيت امره ، وكان في غرفتي ، وحين اقبل رجال البوليس الى منزلي قطعته ارباً ووضعته في حقيبة الأشغال الجلدية .

– حسناً انها فكرة طيبة .

– اني لست بالغباء الذي يتصوره الجميع .

وفجأة أخذت تولول :

– جون .. جون .

– اني اقدر شعورك يا عزيزتي .

– ولكنك لا تعلمين ، لم يكن جون . انه كان اكذوبة ، كل آمالي فيه كانت في غير موضعها ، لقد رأيت وجهه حين تبع المرأة تلك الليلة ، وكنت أعلم أنه كان يحبها ، ولكنني ظننت أن كل شيء قد انتهى .

– ولكن كل شيء كان فعلا قد انتهى .

– كلا ، لقد اقتحمت علينا السهرة ، وتعمدت أن تقول إنها لم تره منذ أعوام ، ولكنني رأيت وجه جون حين خرج معها . وذهبت أنا إلى فراشي وحاولت ان انام فلم أتمكن ، وحاولت أن أقرأ القصة البوليسية التي كان يقرؤها جون ، ولكنه لم يحضر ، وأخيراً خرجت . كان القمر يضيء الحديقة فسرت في الطريق المؤدي إلى حمام السباحة فرأيت ضوءاً في الاستراحة ورأيتهما هناك : جون وتلك المرأة .

وأتت هنريتا بحركة بسيطة ورأت ان تعبير وجه جيردا قد تغير ، فقد اختفى القناع الحائر ، وحل محله تعبير قاس رهيب .

واستطردت جيردا تقول :

- لقد كنت أثق به ، وعبدته كما يعبدون الاله ، وكنت أعتقد انه أنبل إنسان على وجه الأرض ولكنه كان كذاباً .. وفي لحظة أدركت انني فقدت كل شيء .

وكانت هنريتا تتفرس فيها كالمأخوذة !

واستطردت جيردا :

– ولم احتمل فقتلته . لم أر بداً من قتله ، هل تفهمين يا هنريتا ؟ وكان علي أن اكون على حذر ، لأن رجال البوليس أذكياء ، ولكني لست من الغباء بالقدر الذي يتصوره الناس ..

إذا ادعيت البلاهة ، ووضعت على وجهك قناعاً من الحيرة والارتباك ،

فإن الناس ستصدق انك غبية في وقت تكونين انت قد ضحكت منهم في أعماقك .

وعرفت من القصة البوليسية ان البوليس يمكنه أن يعرف نوع السلاح الذي يطلق على القتيل ، وكان سير هنري قد علمني بعد ظهر ذلك اليوم كيف أحشو مسدساً وكيف أطلقه ، فسرقت مسدسين ، وأطلقت الرصاص من واحد والقيته في الدغل وجعلت الناس يرونني ممسكة بالثاني .

كانت الفكرة أن أدعهم يظنون انني أطلقت الرصاص عليه ثم يكتشفون انه لا يمكن أن يكون قد قتل بالسلاح الذي وجدوه في يدي .. ومن ثم يقتنعون بأنني لم أقتله !

وهزت رأسها في انتصار ، ثم استطردت :

– ولكنني نسيت أمر الجراب وكان موضوعا في درج في غرفة نومي .. ولكن البوليس لن يعرفه اليوم !

– قد يعرفونه من الأفضل ان تعطيه لي ، وسآخذه معي ، ومتى تخلصت منه فأنت في مأمن .

وفجأة شعرت أنها متعبة !

فاعتدلت في مقعدها ، وقالت جيردا :

– إنك تبدين متعبة ، حسناً فقد كنت أعد الشاي .

وغادرت الغرفة ، ثم عادت تحمل صحفة عليها أناء للشاي وآخر للبن وقدحين ووضعت الصحفة على المنضدة وصبت لهنريتا قدحاً من الشاي وقدمته لها فقالت :

– شكراً ، والآن اذهبي واحضري الجراب .

وترددت جيردا قليلا ثم غادرت الغرفة .

ووضعت هنريتا القدح على المنضدة ، واعتمدت رأسها بين يديها ، فقد كانت متعبة ، ولكن كل المتاعب قد انتهت الآن ، وأصبحت جيردا في امان

فقد أراد لها جون هذا .

واعتدلت في جلستها ، ومدت يدها لتمسك بقدح الشاي ،ولكنها سمعت حركة عند الباب ، فظنت ان جيردا قد عادت ، ولكنها وجدت امامها هير كيول بوارو الذي قال :

– وجدت الباب مفتوحاً فدخلت !

– أنت .. كيف علمت انني هنا ؟

– انك غادرت قصر هولو بغتة وكنت اعرف أين انت ذاهبة ، فاستأجرت سيارة سريعة ، واتيت إلى هنا رأساً .

وصمت بوارو لحظة ، ثم استطرد وهو ينتزع قدح الشاي من يدها ويضعه على الطاولة :

– انصحك ألا تشربي هذا الشاي انه ليس معداً كما ينبغي .

– وماذا في ذلك ؟

– قد يكون في ذلك اي شيء !

وعادت جيردا إلى الغرفة ، وكانت تحمل حقيبة في يدها ، فلما رأت بوارو وقفت بغتة ، ثم راحت تنقل بصرها بين بوارو وهنريتا ، فقالت هنريتا بسرعة :

– اخشى يا عزيزتي انني كنت موضع ريبة مسيو بوارو فتبعني فهو يظن اني قتلت كريستو ، ولكنه لا يمكنه ان يثبت ذلك .

فقالت ببطء :

– إني آسفة ، هل تتناول قدحاً من الشاي يا مسيو بوارو ؟

– كلا ، شكراً لك .

وجلست وقالت :

– اني آسفة لأنه لا يوجد احد بالبيت فقد خرج الجميع للنزهة وتركوني وحدي

ثم اسرعت فتناولت قدح الشاي وشربته ثم قالت :

– إن كل شيء يبعث على الحيرة ، فقد كان جون يرعى كل شيء ، اما اليوم فانني لا أعرف كيف اتصرف بدونه ، فقد ذهب وتركني وحيدة .. إن الأطفال يسألون ولا يمكن ان اجيبهم، تيري يسألني : « لماذا قتل أبي»؟ وسيكشف في يوم ما لماذا قتل أباه ، إن تيري لا بد ان يعرف .

واتكأت على الأريكة ، وكانت شفتاها قد شحبتا فتابعت :

– انا لا اشعر انني بخير .. آه لو كان كريستو .

وأسرع اليها بوارو فأقعدها لكن رأسها سقط على صدرها ، فمددها على الأريكة ، ثم فحص عينيها وقال :

– إنها ميتة سهلة خالية من الألم .

فحملقت فيه هنريتا قائلة :

– هبوط في القلب ؟ لا شيء في الشاي ؟ شيء وضعته فيه عن عمد ، فقد اختارت هـذه الوسيلة لمغادرة الحياة .

– كنت انت المقصودة ، فقد شربت كأسك انت .

– ولكنني كنت أحاول أن اساعدها !

– هذا لا يهم ، ألم تر كلباً يقع في فخ ؟ انه يعض كل من يقـترب منه ، وكانت ترى انك تعرفين سرها ، ومن ثم حكمت عليك بالموت .

– وأنت الذي جعلتني اترك قدح الشاي . هل كنت تعلم .

– لا .. لم اكن اعلم انها دست شيئاً في الشاي ، انها كانت مجرد شكوك ان موتها على هذا الوضع رحمة لها .

– وكيف عرفت ؟

– كنت اشعر منذ البداية انها مسرحية مدبرة ، غير انني لم اعرف ان جيردا كريستو هي المخططة ، الا بعد فترة طويلة .

ان مظهرها كان تمثيلاً ، لأنها كانت خلال حياتها تمثل دورهـا بمهارة ،

ثم اكتشفت بمضي الوقت اني في الواقع لا أحارب إلا ذكاءك وان اقاربك هبوا لمعاونتك بمجرد ان عرفوا ما تبغين ، فتضافرتم جميعاً على تمييع الموقف وتوزيع الاتهامات لتضليل رجال البوليس وإيقاعهم في حيرة .

– هذا ما اراده جون وهو معنى ندائه : « هنريتا » فقد كان يريدني ان أحمي جيردا ، واظن انه في هذه اللحظة ادرك انه كان حقيقة يحب زوجته أكثر من اية امرأة اخرى .

وكان يعلم اني لن اتأخر عن تلبية طلبه لأني احبه ، فبدأت إجابة طلبه على الفور . وكان اول عمل لي هو ان آخذ المسدس منها والقيه في حمام السباحة .

فهذا العمل يمحو بصمات الأصابع .

وحينما اكتشفت ان هناك مسدساً آخر ، رجعت بعد الظهر ولقيته بسهولة ، فقد سبقت المفتش كرانج بدقيقة او دقيقتين .. واحتفظت بالمسدس معي !

ثم حملته إلى لندن واخفيته في الاستديو حتى تتاح لي الفرصة لاخفائه حيث لا تصل اليه اعين رجال البوليس .

– آه .. الحصان !

– كيف عرفت ؟ نعم فقد صنعت الحصان خصيصاً لأخفي فيه المسدس فرجال البوليس لن يجرؤوا على تحطيم تمثال بحجة البحث عن مسدس .. ولكن كيف عرفت مكانه ؟

– مجرد فكرة الحصان جعلتني افكر في حصان طروادة .. وإنما بصمات الأصابع كيف افتعلتها ؟

– إنها بصمات اصابع عجوز اعمى يبيع الكبريت عند منحنى الطريق فقد جعلته يمسك المسدس ريثما اخرج له النقود ، وقد فعل ، ولكنه لم

يكن يعلم انه امسك مسدساً !

فنظر اليها بوارو في اعجاب قوي ..

ثم قال :

- يا آنسة . إنك ابرع وأذكى فتاة صادفتها في حياتي . حتى الآن !

- تمت -